مجلة التربية للعلوم الانسانية

مجلة علمية فصلية محكّمة، تصدر عن كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة الموصل

بنية النسق النصي في قصيدة (ليس الغريب) للإمام زين العابدين

أشواق محمد إسماعيل [1]

قسم اللغة العربية . كلية اللغات . جامعة صلاح الدين – أربيل / العراق [1]

معلومات الارشفة

تاريخ الاستلام : 2025/10/25

تاريخ المراجعة : 2026/1/15

تاريخ القبول : 2026/1/15

تاريخ النشر : 2026/6/22

الكلمات المفتاحية :

بنية، نسق، قصيدة، ليس الغريب، زين العابدين

معلومات الاتصال

أشواق محمد

ashwaq.Ismaiel@su.edu.krd

الملخص

تتضمَّن محاور هذا البحث الموسوم بـ(بنية النسق النصي في قصيدة (ليس الغريب) للإمام زين العابدين) البنية النسقية للقصيدة بضربيها البنية النسقية الكبرى، والبنية النسقية الصغرى، ودراسة الأنساق المرتبطة بالنص في قصيدة (ليس الغريب)، وهي تحتوي على نسقي الترابط بعناصره الثلاثة: نسق الترابط النحوي المتحقّق بآليات الإحالة، والاستبدال، والحذف، والعطف، ونسق الترابط المعجمي الذي يتحقَّق بوسيلتي التكرار والمصاحبة المعجمية، ونسق الترابط الصوتي المتحقّق عبر الجناس، والوزن والقافية. أمَّا النسق الثاني فهو نسق الانسجام، يتحقَّق بوساطة مجموعة من العلاقات النصية، نحو: نسق علاقة الإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص، والسبب والنتيجة، والتضاد، وأنساق نصية أخرى كالعنوان، والتغريض، والزمن، والمكان.

كما تتكوَّن القصيدة من أنساق مرتبطة بمنتج النص والمتلقي، تشمل نسقي المقصدية والمقبولية، إلى جانب أنساق متعلِّقة بظروف إنتاج النص والمتلقي، تندرج تحتها أنساق الإعلامية بدرجاتها الثلاث الإعلامية ذات كفاءة عالية، والإعلامية ذات كفاءة متوسطة، والإعلامية ذات كفاءة منخفضة، ونسق المقامية، ونسق التناص وألوانه المتباينة. وتجدر الإشارة إلى أنَّ المنهج المتَّبع في بيان البنية النسقية المستعملة للقصيدة هو المنهج الوصفي، والإحصائي التطبيقي.

وتوصَّل البحث إلى أنَّ قصيدة (ليس الغريب) مبنية على أنساق نصية محكمة مترابطة، تخضع لمعايير نصية متعدِّدة، منها ما يتَّصل بالنص نفسه، ومنها ما يتَّصل بمنتج النص والمتلقي، ومنها ما يتَّصل بظروف إنتاج النص والمتلقي، كما توصَّل البحث إلى أنَّ كفاءة النص فيها عالية؛ لبنائها على أنساق نصية متلاحمة تربط أجزاء القصيدة بعضها ببعض

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

Journal of Education for Humanities

A peer-reviewed quarterly scientific journal issued by College of Education for Humanities / University of Mosul

(The Structure of the Textual Pattern in the Poem (Not the Stranger) by Imam Zain Al-Abidin)

Ashwaq Mohammed Ismael [1]

Department of Arabic – College of Languages – Salahaddin University Erbil – Iraq [1]

Article information

Received : 25/10/2025
Revised 15/1/2026
Accepted : 15/1/2026
Published 22/6/2026

Keywords:

Structure, Pattern, Poem, Not the Stranger, Zain Al Abidin

Correspondence:
Ashwaq Mohammed
ashwaq.Ismaiel@su.edu.krd

Abstract

The axes of this research entitled (The Structure of the Textual Pattern in the Poem (Not the Stranger) by Imam Zain Al-Abidin) deal with the textual structure of the poem in its two types: the major textual structure and the minor textual structure, and the study of the system patterns associated with the text in the poem (Not the Stranger), which includes the two patterns of coherence with its three elements: the pattern of grammatical coherence achieved through the mechanisms of reference, substitution, deletion, and conjunction, and the pattern of lexical coherence achieved through the means of repetition and lexical accompaniment, and the pattern of phonetic coherence achieved through alliteration, meter, and rhyme. The second pattern is the coherence, which is achieved through a group of textual relationships, such as: the pattern of the relationship of generality and detail, generality and specificity, cause and effect, contrast, and other textual patterns such as title, purpose, time, and place.

The poem also contains pattern patterns related to the producer of the text and the recipient, including the patterns of purpose and acceptability, in addition to patterns related to the circumstances of the production of the text and the recipient, under which fall the patterns of information with

its three degrees: highly efficient information, medium efficient information, and low efficient information, the pattern of position, and the pattern of intertextuality and its various colors. It is worth noting that the method followed in explaining the systematic structure used in the poem is the descriptive and applied statistical method.

The research concluded that the poem (Not the Stranger) is built on tight, interconnected textual patterns, between its parts, subject to multiple textual standards, some of which are related to the text itself, some of which are related to the producer of the text and the recipient, and some of which are related to the circumstances of the production of the text and the recipient. The research also concluded that the efficiency of the text in it is high; because it is built on cohesive textual patterns that link the parts of the poem to each other

DOI: **********,, ©Authors, 2025, College of Education for Humanities University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأميّ، خير من نطق بالضاد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أضحى النص، منذ عقود، من المفاهيم الرئيسة التي آلت إلى فتح حقول حديثة في مسار الدراسات اللسانية، وللنص أنساق متعدِّدة اشترطها النصيون في تحقيق نصيته، وجمع بحثنا المتواضع بين النسق اللغوي، والنص الشعري، وبما أنَّ الدراسات النصية جامعة للعديد من الروافد، تشمل بالوصف والتحليل أنساقًا نصية كثيرة سواء أكانت على مستوى البنية السطحية للنص أم على مستوى البنية العميقة.

وانطلاقًا من هذه الرؤية يسعى بحثنا الموسوم بـ(بنية النسق النصي في قصيدة (ليس الغريب) للإمام زين العابدين) إلى دراسة البنية النسقية للقصيدة بضربيها، البنية النصية الكبرى، والبنية النصية الصغرى، إلى جانب استجلاء الأنساق النصية ومعالمها، باتِّباع المنهج الوصفي، والاستقصائي التطبيقي.

ويضمُّ البحث مقدّمة تمهيدية بخصوص مفهوم النسق، والنص، ثم الخوض في غمار الأنساق النصية المرتبطة بالنص في قصيدة (ليس الغريب)، وهي تحوي نسقي الترابط والانسجام، ويتحقَّق النسق الترابطي بأضربه الثلاثة: نسق الترابط النحوي المتحقِّق بأنساق الإحالة، والاستبدال، والحذف، والعطف، ونسق الترابط المعجمي

يتحقَّق بنسقي التكرار والمصاحبة المعجمية، ونسق الترابط الصوتي المتحقِّق عبر أنساق الوزن والقافية، والروي، والجناس. أمَّا النسق الانسجامي فيتحقَّق بوساطة مجموعة من الأنساق نحو: وحدة الموضوع، والتغريض، والزمن، والعلاقات النصية كعلاقة الإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص، والسبب والنتيجة.

ويضمُّ البحث أيضًا الأنساق التفاعلية بين المتكلِّم والمتلقِّي، تشمل نسقي المقبولية والمقصدية، إلى جانب دراسة الأنساق السياقية التخاطبية التي ترتبط بظروف إنتاج النص وتلقِّيه، والأنساق التي تندرج ضمنها: النسق الإعلامي، والنسق المقامي، والنسق التناصي، وهذه الأنساق تعمل معًا؛ لإبراز البنى النصية واستجلائها في معالم قصيدة (ليس الغريب).

مرتكزات النسق النصي – المفهوم والأطر

لا ريب في أنَّ اللغة تتشكَّل من مجموعة من الأنساق والعلامات، والرموز، يستعملها الإنسان مع بني جنسه؛ لتحقيق التواصل اليومي، وقيل: إنَّ اللغة "نسق من الأشكال" (بوقرة، 2016م، صفحة 30)، و"هي أساسًا نظام نسقي، يتحقَّق عبر الإسناد والتركيب وفقًا لقوانين النحو وقواعده" (حايلا،، 2012م، صفحة 27)، وهذا النظام نظام علامي، أجزاؤه مترابطة من ناحية تطوّرها تأريخيًا، وأنَّ التغييرات لا تحصل على مجموعة النظام بكامله فحسب، بل تحصل على عنصر معيَّن من عناصره، ولا تدرس هذه التغييرات إلَّا خارج هذا النظام، وأنَّ كلَّ تغيير له تأثير في النظام، وهذا الاختلاف بين الحدث والعمل الجزئي والعمل الرئيس للنظام جعل من الصعب أو من المحال عمل مادة، لعلم واحد، ولكن من الممكن مقارنة حالتين متتاليتين للغة نفسها، أو لدراسة نظامين من الناحية الوصفية (بيلون وآخرون، وفاير،، 2010م، صفحة 75، 88). ويكمن الجانب الوظيفي للغة بوصفها نظامًا غايته التواصل والتبليغ، مكوّن من علامات لسانية، أو ملفوظات دالَّة على معاني الأشياء والأفعال بالوضع الاجتماعي، وارتباط هذه العلامات خاضع لجملة من القواعد المنظَّمة لمحل الأبنية اللغوية، فتجعلها موافقة مترابطة لدلالات النصوص (بوقرة، 2016م، صفحة 29).

والنص إعادة توزيع نظام اللغة، وإعادة ترتيب المؤلَّفات الصوتية، والتركيبية والدلالية، بحيث نستطيع أنْ نبني نصوصًا لا تنتهي من المؤلَّفات نفسها، وذلك بإعادة ترتيبها في كل مرَّة على هيئة مختلفة، فهيئة البناء أو النسق سمة نصية، والذي يتحكَّم في البناء قواعد داخلية تحقِّق التماسك، وقواعد سياقية وتواصلية تحقِّق الانسجام وتُبنى على الأولى (بودرع، 1440هـ = 2019م، صفحة 21)، (كرستيفا، 1991م، صفحة 21،22). وقد ذهب فان دايك (Van Dijk) إلى أنَّ النظرية اللسانية تعتني بأنساق اللغة الطبيعية، أي: مع بنياتها الفعلية والممكنة "بتطوّرها التأريخي، وبمختلف أنشطتها الثقافية ووظيفتها المجتمعية، وأسسها المعرفية... وتصاغ هذه الأنساق من حيث هي أنساق صياغة واضحة من قواعد متواضع عليها، من شأنها أنْ تحدِّد نوع السلوك اللغوي" (دايك، 2013م، صفحة 17)، (خطابي، صفحة 29).

وإذا كانت اللغة منظومة نسقية، حري بنا أنْ نحدِّد مفهوم النسق وأطره المعرفية في عرف المحدثين، فالنسق "عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة، وتبعًا لهذا، فإنَّ كلَّ ظاهرة أو شيء ما يُعتبر نسقًا ديناميًا، والنسق الدينامي له دينامية داخلية، ودينامية خارجية تحصل بتفاعله مع محيطه، والدينامية إمَّا خطيَّة وإمَّا غير خطيَّة، وغير الخطيَّة إمَّا انعكاسية وإمَّا غير انعكاسيَّة" (محمد، 2010م، صفحة 135)، وجدير بأنْ ينوّه على أنَّ أنساق منطق القضايا ومنطق الجمل هي أسس الأنساق المنطقية ومعيارها ومعتمدها، حتى ولو تعدَّدت أنواع الأنساق المنطقية، أي: تنوعَّت مجموعة قضاياها الأولية (مسلَّماتها)، وقواعدها، وأصناف تراكيبها (دايك، 2013م، صفحة 87،59)، ولأهميَّة النسق في الدرس اللساني الحديث ظهرت المدرسة النسقية (مدرسة كوبنهاجن) (Kopenhagen) في أوربا في مطلع القرن العشرين مع اللساني الدنماركي لويس هيلمسيلف (Louis Hjelmslev)، إذ تبنَّى النظرية الكلوماسيتيكية التي تقوم على دراسة النص وتحليله لوحدات صغرى، ثمَّ تقوم مجموعة من الفرضيات والمبادئ اللسانية بالتنقيب عن العلاقات بين الوحدات اللغوية، بحيث تتضمَّن كلّ وحدة مستويين، ولكلٍّ منهما مادة وشكل عبر المستويين الصوتي والدلالي (القاسمي، 2019م، صفحة 115).

والملفت للنظر أنَّ اللسان في تصوّر دي سوسور (De Saussure) "نسق لا يعرف إلَّا بطبيعة نظامه الخاص، ولا قيمة لأجزائه إلَّا ضمن الكل، وقد جاراه كثير من البنيويين حتَّى أطلق فوكو على جيله اسم جيل النسق" (فرخي، 2010م، صفحة 53)، وقيل في تحديد النسق: "انتظام جزئيات الكلام على حالة من الترتيب، والنظام والأداء" (الجاجي، 1431هـ = 2010م، صفحة 15)، وهناك تعريفات أخرى، لا جدوى لذكرها، لأنَّ جلَّها يدور في محور واحد، "فمهما اختلفت تعريفات النسق، فإنَّه ما كان مؤلَّفًا من جملة عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها وتتعالق؛ لتكون تنظيمًا هادفًا إلى غاية، وهذا التحديد يؤدِّي إلى نتائج عديدة" (مفتاح، 2016م، صفحة 55).

أمَّا النص فهو إطار آخر من الأطر الرئيسة لموضوع بحثنا، وقد تعدَّدت تعريفات النص مثلما تعدَّدت تعريفات النسق، فالنص هو "وحدة مجرَّدة لا تتجسَّد إلَّا من خلال الخطاب كفعل تواصلي، فالنص هو مجموع البيانات النسقية التي تتضمَّن الخطاب وتستوعبه" (سعدية، 2017م، صفحة 195)، (لافون وآخرون، 2014م، صفحة 54)، أو هو الروابط التي تسمح بالحكم على الخطاب بأنَّه متناسق (أبو خرمة، 1425هـ = 2004م، صفحة 83)، أو "تعاقب دالّ من العلامات اللغوية بين وقفتين واضحتين في التواصل" (روبلار وآخرون، 1441هـ = 2020م، صفحة 159)، وأنَّ مفهوم النص مفهوم فاتح لفضاء تساؤل في البحث اللغوي والبلاغي، وهو مفهوم حافز يدفع الباحث المشتغل بالمسائل اللسانية إلى التفكير في اتجاهين اثنين: اتّجاه أوَّل يراجع فيه ما تمَّ بناؤه في النظريات اللغوية، والأنحاء القديمة، واتّجاه ثانٍ يبحث فيه ويسعى إلى الإسهام في بناء نماذج توصف بها الأنساق التي يثيرها هذا المفهوم، وهذا يؤكِّد أنَّ النصَّ وحدة من وحدات الكلام في الاستعمال، وهو ليس وحدة نحوية مثل الجملة أو الجزء من الجملة، وهذا يعني أنَّ النص وحدة دلالية، أي: أنَّه ليس وحدة شكلية، بل وحدة معنوية

وعلاقته بالجملة أو الجزء من الجملة لا تقوم على المعجم فحسب، بل تقوم على الإجراء والإنجاز (Realization) بتشفير نظام علامي، فالنص لا يتكوَّن من جمل، إنَّما ينجز بجمل، ويشفَّر بالجمل (الشاوش، 1421هـ = 2001م، صفحة 1/ 14، 144).

والنص بنية كلية ذات موضوع، بمعنى أنَّ النص يدور في بؤرة محدَّدة، هي موضوعه، وأنَّ الجمل الأخرى كلّها، ما هي إلَّا شرح، وتفسير، وإعادة صياغة، لتلك البؤرة، واستدلَّ المتكلم على سلامة فكرته، وأنَّ المتلقي بعد سماعه للخطاب، أو قراءته للنسق النصي، يسأل ماذا قال؟ هذا موضوع غير مترابط، ما العلاقة بين هذه وتلك؟... هلمَّ جرا (أبو خرمة، 1425هـ = 2004م، صفحة 89)، (خطابي، الصفحات 42-46). وبناء على ذلك، فإنَّ مهمَّة علم النص تكمن في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأنساق النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل، واستعمال اللغة كما يتمُّ تحليلها في العلوم المختلفة (سعدية، 2017م، صفحة 195)، وقيل: النص "والكلام، والخطاب نسق، ولا تخفى أهمية إيجاد الأبنية التي تنظِّم سلك النسق" (الشاوش، 1421هـ = 2001م، صفحة 2/ 1265).

يستخلص من جلِّ ما تقدَّم: أنَّ النسق النصي هو دراسة البناء النصي السليم بصنفيه البنية الكبرى، والبنية الصغرى، عبر ضوابط ومعايير نصية مقنَّنة، منها ما يرتبط بالنص نفسه، ومنها ما يرتبط بمنتج النص والمتلقي، ومنها ما يرتبط بظروف إنتاج النص. والذي يهمُّ موضوع بحثنا هو أنَّ الدراسات الأسلوبية قد عمدت "في تحليل الشعر إلى توصيف مستويات النص وتمييزها؛ لتخصيص فاعلية كل مستوى وأثره في تواشج الأنساق التعبيرية وترابطها" (الحساني، 1433هـ = 2012م، صفحة 34)، وعوَّل هذا البحث على وصف النسق النصي في الشعر، لأنَّ "التحليل النسقي يسمح بأنْ يؤخذ في الاعتبار مجموعة مهمَّة من العناصر، ويستطيع أنْ يعتبرها مجتمعة ومنفصلة" (مفتاح، 2016م، صفحة 55)، (القرعان،، 2004م، صفحة 3).

النسق النصي للبنى في قصيدة (ليس الغريب)

لقد اتَّكأ الإمام في تشكيل قصيدته الرائعة على بنى مغايرة ذات أبعاد نسقية بنائية، يمكن توزيع البنى التي تتشكَّل منها قصيدته على النحو الآتي:

أولًا: النسق النصي للبنية العليا:

يقصد بالبنى العليا للنص البنى العامة "التي تميِّز نمط نص ما عن غيره، أو هي القوالب التي تميِّز كل خطاب لغوي عن غيره، أو جنسًا أدبيًا عن الآخر ... والبنية العليا تحدِّد القالب المناسب لحمل الرسالة وتحقيق الاتصال بالطريقة المثلى" (البطاشي، 1430هـ = 2009م، صفحة 113)، ولأهمية هذه البنية ذهب بعض الباحثين إلى تعريفها بالجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص، وأنَّ تفكيكه إلى الوحدات المكوِّنة له يعتمد الإدراك السليم لهذه البنية، ولا مفرَّ لنا عند تحليل النصوص من توظيف معرفتنا الأدبية بخواص الأجناس التي تنتمي إليها هذه النصوص. فعند قراءة الشعر مثلا، فإنَّ هناك الكثير من الموجّهات لهذه القراءة نابعة من طبيعة الشعر وجنسه،

وكذلك عند قراءة أي عمل أو فن من الفنون لا يمكن تجاهل انتمائه (البطاشي، 1430هـ = 2009م، صفحة 55)، (فضل، 1413هـ = 1992م، صفحة 55). ولعلَّ نسق البنية العليا في قصيدة (ليس الغريب) هو البيت الذي افتتح به الإمام، فقوله:

لَيْسَ الغَرِيبُ غَرِيبَ الشَّامِ واليَمَنِ إنَّ الغريبَ غريبُ اللَّحْدِ وَالكَفَنِ

مفتاحٌ أو بؤرة عميقة أكبر من البنيتين الكبرى والصغرى، بحيث إنَّ المقاطع الأخر بمتوالياتها وأنساقها الجميلة تندرج تحت إطار هذا البيت المذكور، وبعبارة أخرى أنَّ البنيات الأخرى كلّها تخدم البيت المفتتح للقصيدة، ودلالة البنية العليا في هذه القصيدة هي حقيقة الموت، وهي موضوع رئيس.

ثانيًا: النسق النصي للبنى الكبرى:

يقصد بهذا النسق البنية العميقة الدلالية والمنطقية التي تظهر ملتحمة بشكل يميِّزها عن غيرها من سائر مستويات النص، وهذه البنية تجريدية نسقية كامنة تمثِّل محيطًا ما من النص قد يمتدُّ؛ ليشمل النص كله، وقد يتقلَّص إلى جزءٍ محدود منه، يجمع هذا المحيط منطقًا واحدًا يبرزه عمق التماسك بين أجزائه، وأنَّ نسق البنية الكلية للنص، وتوزيع البنى النصية الكبرى مرتبط بالموضوع الكلي، ومن ثمَّ تعدُّد هذه الأبنية وتدرُّجها في النص، وأنَّها تتماسك كليًّا بتصوّرات نسقية وعلاقات دلالية محقَّقة انسجامًا قضويًا عامًا (أبو زنيد، 1431هـ = 2010م، صفحة 58)، (فضل، 1413هـ = 1992م، صفحة 315). وتتوزَّع نسقية البنى الكبرى التي قيَّدت الترتيب الكلي لأجزائه في قصيدة (ليس الغريب) على النحو الآتي:

– البنية النسقية الأولى: هي الموت والندم، والشعور بالذنب، ويمثِّل هذه البنية البيت المفتتح من القصيدة إلى البيت الخامس عشر.

– البنية النسقية الثانية: هي الانصراف إلى تحضيرات الميت نحو الغسل والكفن، يمثِّل هذه البنية البيت الخامس عشر من القصيدة قوله:

وَغَمَّضوني وَراحَ الكُلُّ وانْصَرَفوا بَعْدَ الإياسِ وَجَدُّوا في شِرا كَفَن

إلى البيت الثالث والعشرين الذي يؤكِّد على خروجه من الدنيا بلا زاد.

– البنية النسقية الثالثة: هي أداء الصلاة على جنازته، ويمثِّل هذه البنية البيت الثالث والعشرين:

وَقَدَّموني إلى المِحْرابِ وانْصَرَفوا خَلْفَ الإمامِ فَصَلَّى ثُمَّ وَدَّعَني

إلى البيت التاسع والعشرين.

– البنية النسقية الرابعة: هي وصف ظلمة القبر وما يلاقيه الميِّت من سؤال، والبيت التاسع والعشرين:

في ظُلمَةِ القَبْرِ لَا أمٌّ هُناكَ وَلا أبٌ شفيقٌ وَلا أخٌ يُؤنِسُني

إلى البيت الرابع والثلاثين يمثِّل هذه البنية.

– البنية النسقية الخامسة: هي ما يحدث بعد رحيله من تقاسم أمواله وزواج شريكته من رجل آخر، والبيت الرابع والثلاثين:

تَقَاسَمَ الأَهْلُ مالي بَعْدَ ما انْصَرَفوا وَصَارَ وِزري عَلى ظَهْري فَأَثْقَلَني

يمثِّل هذه البنية إلى البيت السابع والثلاثين.

– البنية النسقية السادسة: هي عدم الغرور وحثّ النفس عن عدم ارتكاب الذنوب والخطايا، والبيت الرابع والثلاثين: **فلا تَغُرَّنَّكَ الدُّنيا وَزِينَتَها وَانْظُرْ إلى فِعْلِها في الأَهْلِ والوَطَنِ**

إلى البيت الثامن والثلاثين يتجسَّد هذه البنية.

أمّا البنية النسقية السابعة فهي الصلاة والسلام على سيِّد الأكرمين الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ اختتم قصيدته بذلك.

وعليه فإنَّ "القضايا الكبرى يعبِّر عنها أحيانًا تعبيرًا مباشرًا ... بالجمل الواقعة موضوعًا في بداية المقطع أو آخره في غالب الأحوال. والوظيفة المعرفية لهذه الجمل واضحة؛ لأنَّها تمنح على وجه مباشر البنية الكبرى للمقطع بدل أنْ تترك تركيب البنية الكبرى لحس المستمع/ القارئ، أي: أنَّها تسهِّل عملية الفهم. ومن جهة أخرى، فإنَّ مثل هذه الجمل توجد لها أيضًا خواص نحوية مميّزة ... فإنَّها تقع على نحو بارز في أول كل مقطع أو آخره" (دايك، 2013م، صفحة 267)، وقد سبق آنفًا ذكر سبعة أبيات بهذا الخصوص، ذلك أنَّ القصيدة تحتوي على سبع بنى نسقية كبرى تتناسق كليًا في محتوى قضوي واحد أو متقارب.

ثالثًا/ النسق النصي للبنى الصغرى:

إذا كان مصطلح نسق (البنى الكبرى) يطلق على الوحدات البنيوية الشاملة للنص، فإنَّ البنى الصغرى تطلق على أبنية المتتاليات والأجزاء التي يجب أن تكون أبنية كبرى، ونصوصًا متماسكة مترابطة (البطاشي، 1430هـ = 2009م، صفحة 56)، والبنى الصغرى تتمثَّل بالأبيات التي وردت بعد كل بنية نسقية كبرى بجمل متناسقة وبكلمات مترابطة، بحيث لا يمكن الاستغناء عن أي جزءٍ منها، وهذه الأجزاء تتعاور فيما بينها؛ لتشكيل نص متناسق مترابط. وجدير بالتنويه أنَّ قصيدة (ليس الغريب) يجمعها ضربان من التعالق والترابط وهما:

– نسق التعالق الرأسي: وهو الترابط الواقع بين الوحدات النصية الكبرى السبع في القصيدة.

– نسق التعالق الأفقي: وهو الترابط الحاصل بين الوحدات النصية الصغرى وأجزائها، أي: أنَّ الجزئيات المتوالية للبنى الصغرى تكون مترابطة متناسقة تخدم نسق البنى الكبرى في الوقت نفسه.

الأنساق النصية الترابطية للبنى التركيبية في قصيدة (ليس الغريب)

تشتمل هذه الأنساق على ضربين رئيسين وهما: نسق الترابط ونسق الانسجام، إذ لهما أثر كبير في بناء قصيدة (ليس الغريب)؛ لأنَّ "النصَّ وحدة نحوية دلالية ينتظم عناصرها اتساق نحوي وانسجام فكري موضوعي ومقصد عام، وإنجاز كلامي أكبر (Marco – act of speech)، تنتظم فيه أفعال الكلام الموجودة فيه كلّها،

ولكنَّ النص لا يقف عند هذه الحدود، فقد دخلت في النظر إلى مفهوم النص مباحث أعلى، تكتشف عن بنياته الكبرى، كأجناس الخطاب وأنماطه وغيرها من المجالات التي تتداخل فيها مباحث لسانيات النص وتحليل الخطاب فيما بينها" (بودرع، 1440هـ = 2019م، صفحة 57). ويمكن استنباط هذين النسقين بتفريعاتهما المتعدِّدة في قصيدة (ليس الغريب) على النحو الآتي:

أولًا: النسق الترابطي (The pattern of Cohesion):

يقصد بهذا النسق التماسك الشديد بين الأجزاء المشكِّلة لقصيدة (ليس الغريب)، ويتحقَّق ذلك بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزءٍ من خطاب، أو خطاب برمَّته (خطابي، صفحة 5)، وبعبارة أخرى أنَّ الترابط يترتَّب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية (Surface) على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق (Progressive Occurrance) بحيث يتحقَّق لها الترابط الرصفي (Sequential Connectivity)، وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط بوساطة مجموعة من الوسائل على هيئة نحوية للمركبات، والتراكيب والجمل، والتكرار، والإحالة المشتركة، والحذف (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 103)، (النجار، 2013م، صفحة 16)... هلمَّ جرا.

وذهب فان دايك (Van dajik) إلى أنَّ الترابط عبارة عن خاصية سيمانطيقية للخطاب قائمة على تأويل كل جملة مفردة متعلّقة بتأويل جملة أخرى، ويشمل مصطلح الترابط جانبًا واحدًا من اتساق الخطاب، أي: العلاقات المباشرة ذات الاتجاه الثنائي بين تلازم القضايا ككل، وبالرغم من ذلك فإنَّ الجمل أو القضايا في كل خطاب قد تشكِّل كلًّا متسقًا حتَّى ولو كانت جميعها لا ترتبط بكل جملة على حدة أو قضية قضية (دايك، 2013م، صفحة 173)، وعليه فإنَّ النص ليس مجرد مجموعة من الجمل غير المترابطة وإنَّما هو بنية متسقة مترابطة تقوم على نظام داخلي متين أساسه علاقات منطقية، ونحوية، ودلالية تربط بين أجزاء النص ومقاطعه، وأنَّ مهمَّة علم النص هي دراسة هذه البنية ووصفها، والوقوف على شتَّى مظاهر الترابط النصي فيها، من إحالة، وحذف، واستبدال، وتكرار... وغيرها (الصبيحي، 1429هـ = 2008م، صفحة 77)، وهذا يدلُّ على "أنَّ رابط النسق (Mais) يُمَفْصِلُ وحدات لسانية كبرى أو قابلة لإعادة الإنشاء ... أو وحدات خطابية كالفقرات مثلًا" (روبلار وآخرون، 1441هـ = 2020م، صفحة 112).

ويتوزَّع النسق الترابطي التركيبي على ثلاثة أقسام في القصيدة:

القسم الأوَّل: النسق الترابطي النحوي:

من المعروف "أنَّ النظام النحوي تحكمه ثلاث ظواهر تركيبية في بناء الجملة هي: الارتباط، والربط، والانفصال" (حميدة، 1997م، صفحة 133). ومن المتفق عليه عند النصيين أنَّ الربط بأدوات العطف يعدُّ من مظاهر الترابط النحوي، وذلك لوجوب الجمع بين الجمل المتجاورة؛ حتَّى تصير نصًّا متماسكًا مترابطًا، وهذه الروابط تتنوَّع عند النصيين إلى أربعة أنساق وهي (خطابي، صفحة 31):

أ- **النسق الإضافي (Additive)**: تنتمي إلى هذه المجموعة روابط أصلها راجع إلى تركيب أنواع الوصل التشريكي (العطف) سواء منها المنسوقة أو الدالَّة على الفرعي من الجمل مثل حرف الواو حرف (أو) يقابلهما في الإنجليزية (or, and)، وهذه الروابط تضيف معنى التالي إلى السابق (دايك، 2013م، صفحة 104).

ويعدُّ هذا النسق من أبرز الأنساق التي تتكوَّن منها قصيدة (ليس الغريب)، وبعد الاستقصاء الدقيق تبيَّن أنَّ الربط النسقي بالواو ورد في سبعة وستين موضعًا، أمَّا (أو) فلم يرد في القصيدة، وخير ما يمثِّل هذا النسق البيت الأخير من القصيدة، إذ تكررت الواو فيه خمس مرات، وهو قول الإمام:

والحَمْدُ للهِ مُمْسِينا ومُصبِحُنا بالخَيْرِ والعَفْوِ والإحْسانِ وَالمِنَنِ

فالرابط النسقي الواوي له أثر كبير في ترابط أجزاء هذا البيت من جهة، وترابط البيت مع البيت السابق من جهة أخرى، فالواو ربطت بين كل من (ممسينا ومصبحنا، وبالخير والعفو، والعفو والإحسان، والإحسان والمنن) في أجزاء البيت، في حين أنَّها في مفتتح البيت ربطت بالبيت السابق ثم الصلاة على المختار ... وهذا يدلُّ على شدَّة الترابط الموجود بين أجزاء القصيدة ككل من جهة، وربط الأبيات بالأبيات التي تسبقها من جهة أخرى، ولعلَّ كثرة الروابط "تعمل على توجيه النشاط التأويلي وضبط إواليات الإغناء التداولي، ممَّا يؤدِّي إلى تقليص المجهود المعرفي المبذول في التأويل، وإلى تسهيل عملية الوصول إلى التأويل المقصود. فهذه العناصر اللسانية تشير إلى الطرق الخاصة التي تجعل من ملفوظ سابق ذا صلة بملفوظ لاحق، أي: أنَّها تؤشِّر إلى أنواع الملاءمة القائمة بين الملفوظات" (هيدالله، 2022م، صفحة 182، 183).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ قيمة النسق الترابطي تكمن في قلَّة عدد الروابط، مع حصول الربط، فكلَّما قلَّت الروابط اللفظية مع بقاء الربط وشدة الترابط اكتمل المعنى وعلا، وكلَّما كثرت مع إمكان الاستغناء عنها وبقائها تناقضت درجات التماسك والبلاغة، لأنَّ تقليل الروابط اللفظية يفسح المجال للروابط العقلية، والعلاقات الذهنية، والقيود المنطقية؛ لتقوم مقام الأدوات اللفظية وتسدُّ مسدَّها وتغني عنها (بودرع، 1440هـ = 2019م، صفحة 24)، ويمثِّل هذا قول الإمام:

وَقالَ يا قومِ نَبْغي غاسلًا حَذِقًا حُرًّا، أديبًا، أريبًا، عَارِف الفِطَنِ

فالبيت يتَّسم بترابط شديد للغاية، بالرغم من عدم وجود الترابط اللفظي، فالترابط الحاصل بين الملفوظات غاسلًا، حذقًا، حُرًّا، أديبًا، أريبًا، عارف الفطن ترابط ذهني معنوي، لم تربطها الواو؛ لشدَّة الترابط العقلي بين تلك الملفوظات، وهذا منح البيت ترابطًا وثيقًا عاليًا.

ب- النسق الزمني (Temporal):

"يراد به الربط بين جملتين متتابعتين زمنيًا ويمثِّلها في الإنجليزية (Then)، وفي العربية الأدوات (الفاء، ثم، الواو...)" (النجار، 2013م، صفحة 47). يلحظ الناظر أو المتأمِّل في هذه القصيدة أنَّ النسق الزمني العطفي حقَّق دلالات زمنية مكثَّفة، فالواو، سبق الحديث عنها آنفًا، "ولا تدلُّ على ربط الأحداث، بل بالأحرى على ربط

العبارات، أي: الدلالة على مطلق الجمع لحالة إثبات مفترض، أو اتصال استمراريتها، ومن ناحية ثانية تستخدم الواو؛ لتغيير موضوع المتوالية وجهتها" (دايك، 2013م، صفحة 362). أمَّا الفاء فقد وردت في عشرة أنساق؛ للدلالة على ربط الأحداث وتعقيبها زمنيًا، وقد تكَّررت مرَّتين في قوله:

فَجَاءَني رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدَني مِنَ الثِّياب وَأَعْراني وَأَفْرَدَني

فبعدما أتوا بغاسل حَذق، قال: (فَجاءَني رجُلٌ) فالفاء تفيد التعقيب بعد إتيان الغاسل، ثم تردَّدت الفاء مرة أخرى؛ لتزيد من ربط الأحداث بعضها ببعض في قوله: (فجرَّدني من الثِّيابِ) وذلك أنَّ الأحداث تقتضي الربط بالفاء؛ لأنَّها تحدث بمدة زمنية قصيرة. وورد النسق الزمني بـ (ثمَّ) في ثلاثة مواضع، من أمثلة ذلك قوله:

فَقامَ مُحْترزمًا بالعَزْمِ مُشتَمِلًا وَصَفَّفَ اللَّبَنَ فَوْقي ثُمَّ فَارَقَني

قوله: (ثُمَّ فَارَقَني) ربط أتى بعد تصفيف اللبن عليه، والربط بـ (ثُمَّ) يحتاج إلى مسافة زمنية أطول ممَّا تحتاجها (الفاء)، ذلك أنَّ بعد حثو التراب على القبر لا يفارقه أهله مباشرة، بل يتمُّ ذلك بعد الوقوف والدعاء له، ثم تتحتَّم المفارقة.

ج- النسق السببي (Causal):

يقصد به "الربط المنطقي بين جملتين أو أكثر، وتمثِّله العناصر (لأنَّ)، لكي ... إلخ، وقد عرَّفه بعض المحدثين بـ (الإتباع) وآخرون بالتفريع (Subordination)" (النجار، 2013م، صفحة 46). وقد تردَّد هذا النسق في موضعين اثنين عن طريق الرابط (كي) وذلك في قول الإمام:

وَقَدْ أَتَــوا بِطَبيبٍ كَــي يُعالِجَني فَلَمْ أرَ الطبيبَ الآنَ يَنْفَعُني

وَجَاءَ نَحْوي أَحَبُّ النَّاسِ في عَجَلٍ يَبْغي المُغَسِّلَ كَيْ يُغَسِّلَني

فالرابط (كي) حقَّق في بيان النسق السببي في البيتين، في البيت الأول آثر الإمام بيان سبب إتيان الطبيب وذلك من أجل معالجته، أمَّا في البيت الثاني لبيان إتيان الغاسل لكي يغسّله. ولم يرد النسق السببي عن طريق (لأنَّ) في القصيدة.

د- النسق العكسي (Adversative):

يفيد هذا النسق "أنَّ الجملة التابعة مخالفة للمتقدِّمة، ويمثِّله في الإنجليزية (but , yet)، وفي العربية حرف الاستدراك لكن وأخواتها" (النجار، 2013م، صفحة 46). هذا النسق له حضور ثلاث مرَّات في قصيدة (ليس الغريب)، وذلك بوساطة أخوات لكنَّ، فالمرة الأولى ورد في عجز مفتتح البيت (إنَّ الغريب غريب اللّحْدِ والكَفَنِ) عندما ورد استئنافًا لصدر البيت (ليس الغريبُ غَريبَ الشامِ واليَمَنِ)، أمَّا المرَّتان الثانية والثالثة فقد وردتا بتركيب واحد وهو (لعلَّ اللهَ يَرْحَمُني) في بيتين من أبيات القصيدة وهما:

صَلُّوا عَلَيَّ صَـلاةً لا رُكـــوعَ لَهَا وَلَا سُجُودَ لَعَلَّ اللهَ يـَرْحَمُني

يَا نَفسُ كُفِّي عَنِ العِصيَانِ وَاكتَسِبي فِعْلًا جميلًا لَعَلَّ اللهَ يـرحَمُني

فرابط النسق العكسي (لعلَّ) يدلُّ على اقتراب تحقيق أمنيته التي تكمن في رحمة الله، وفي البيت الثاني ورد في سياق حثِّ النفس على فعل الخيرات وترك العصيان من أجل رحمة الله.

يتجلَّى ممَّا سبق: أنَّ الأنساق الأربعة لها حضور ملحوظ في القصيدة، وذلك لربط الأحداث والجمع بين الجمل، وهذا ما أدَّى إلى تماسك النص وترابط أجزائه في القصيدة.

ويتحقَّق نسق الترابط النحوي بالعناصر النسقية الآتية:

أولًا: النسق الإحالي:

تحتلُّ ظاهرة العائدية الخطابية موقعًا مركزيًا في اهتمامات الاتجاهات المعرفية في تحليل الخطاب، التي تستعمل مفهومي الانسجام أو الذاكرة الخطابية. وتفيد الفكرة الأساسية الثاوية خلف مفهوم العائدية الخطابية، ذلك أنَّ العبارات غير المستقلَّة إحاليًا لها سابق في جملة سابقة من الخطاب نفسه، أو لاحق في جملة لاحقة من الخطاب نفسه، وأنَّ هذا الاتجاه من تحليل الخطاب يستبدل فرضية خطابية تؤوِّلُ وفقها العائديات الخطابية داخل الخطاب بحسب مبادئ خطابية، بالفرضية التوليدية التي تفيد أنَّ الضمائر تؤوّلُ داخل الجملة بمقتضى مبادئ تركيبية (روبلار وآخرون، 1441هـ = 2020م، صفحة 173، 98)، (علي، 2013م، صفحة 61)، وأساس الإحالة "تلازم يحدث بالتواتر بين عنصرين معجميين فأكثر إلى حدّ نشأة متتالية تمثِّل عنصرًا جديدًا يمتنع عن التحليل أو استبدال مكوّناته أو تحويلها" (أعمال الندوة العلمية الثانية لجامعة القيروان، 2008م، صفحة 139، 111، 112)، (هبيّل، 2017م، صفحة 32).

أنواع النسق الإحالي:

1- إحالة داخل النص أو داخل اللغة (Endophora): وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ، سواء أكانت سابقة أم لاحقة، فهي إحالة نصية، وهذه تنقسم إلى قسمين أيضًا (الزناد ا.، 1993م، صفحة 118)، (أبو خرمة، 1425هـ = 2004م، صفحة 82):

أ- إحالة على السابق (Anaphora): وهي تعود على مفسِّر (Antecedent) سبق التلفظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسِّر الذي كان من المفروض أن يظهر، إذ يرد المضمر.

ب- إحالة على اللاحق (Cataphora): وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها. نحو ضمير الشأن في العربية، أو غيره من الأساليب من قبيل: (من تونس، تقدّم إليكم نشرة الأنباء، وهذا موجزها...) (الزناد ا.، 1993م، صفحة 118، 119)، (الداودي، 1431هـ = 2010م، صفحة 44، 45).

ويشمل هذا النسق الإحالي أربعة أنواع في قصيدة (ليس الغريب) وهي:

أ- **النسق الإحالي الضميري:** يشكِّل هذا النسق الإحالي أكثر أنواع الإحالة في القصيدة، وقد ورد في معظم أبيات القصيدة؛ لربط الأجزاء بعضها ببعض، ويتوزَّع هذا النسق الضميري على الضمائر المتصلة بأقسامها الثلاثة (التكلم، والخطاب، والغيبة) والضمائر المستترة، وهذه اللائحة تبيِّن عدد ورود هذا النسق باستقصاء دقيق:

ت	لاحقة الضمائر	نوعيتها من حيث الاتصال والانفصال	نوعيتها باعتبار درجات التكلم	عدد ورودها	النسبة المئوية
1	ياء المتكلم	المتصل	المتكلم المفرد	76	%36,89
2	المستتر (هو)	المستتر	الغائب المذكر	44	%21,35
3	واو الجماعة	المتصل	جماعة الغائبين	16	%7,76
4	ها	المتصل	الغائبُ المؤنث	12	%5,82
5	المستتر (هي)	المستتر	الغائب المؤنث	12	%5,82
6	المستتر (أنت)	المستتر	المخاطب المذكر	10	%5,82
7	المستتر (أنا)	المستتر	الحاضر المتكلم	6	%2,91
8	كَ	المتصل	المخاطب المفرد	6	%2,91
9	هم	المتصل	جماعة الغائبين	6	%2,91
10	ياء المخاطبة	المتصل	المخاطب المفرد	5	%2,42
11	ه (الهاء)	المتصل	الغائب المذكر	5	%2,42
12	نا	المتصل	جماعة المتكلمين	3	%1,45
13	تُ	المتصل	المتكلم المفرد	2	%0,97
14	تَ	المتصل	المخاطب المفرد	2	%0,97
.15	هما	المتصل	الغائب المثنى	1	%0,48
			المجموع	206	%100

إنَّ المعطيات الإحصائية في هذه اللائحة تشير إلى أنَّ القصيدة زاخرة بالضمير المتصل (ياء المتكلم)، إذ ورد بنسبة 36,89% واحتَلَّ المرتبة الأولى، ولعلَّ هذا يتلاءم وسياق القصيدة، ذلك أنَّ الإمام آثر التعبير عمَّا يدور في نفسه من أحزان، وآلام، وآهات، أمَّا الضمير المستتر بألوانه الأربعة فقد احتلَّ المرتبة الثانية، وبلغ نسبة (17,42%)، وهذا يتناسب مع القصيدة؛ لأنَّ الإمام يتحدَّث عن نفسه بعد الرحيل من الدنيا وفراق أهله، وورد الضميران واو الجماعة و(ها) بنسب متقاربة، وكل من الضميرين المستترين (هي، أنت)، و(كاف الخطاب مع

ضمير جماعة الغائبين هم)، وياء المخاطبة مع الغائب المذكر (الهاء)، وكل من (نا، تُ، تَ، هما) بنسب متقاربة أيضًا.

فالنسق الإحالي الضميري بوساطة ياء المتكلِّم أسهم في ربط أجزاء الملفوظات بعضها ببعض في قصيدة (ليس الغريب)، ولعلَّ نسج النص على الضمير المتصل المعبّر عن التكلم "يبيّن قدرة الضمير على تطويع الجزئيات المتناثرة التي كانت أفكارًا مجرَّدة بعيدة عن الترويض والتواصل وجعلها نسيجًا موحّدًا منظّمًا" (أبو زنيد، 1431هـ = 2010م، صفحة 110)، فمن أمثلة هذا النسق الإحالي قول الإمام:

يَا نَفسُ كُفِّي عَـنِ العِصيَانِ وَاكتَسِبي فِعْلًا جَميلًا لَعَلَّ اللهَ يـــرحَمُني

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ تــوبي وَاعْمَلي حَسَنًا عَسَى تُجازينَ بَعْدَ المَوْتِ بالحَسَنِ

تحقَّقَ النسق الإحالي الضميري بياء المخاطبة في (كُفِّي، واكتسبي، وتوبي، واعملي، وتُجازين) إحالة قبلية تعود على ملفوظ سابق وهو (نفس) في المقطع الأخير من القصيدة، ويمكن توضيح هذا النسق الإحالي الضميري بالمخطط الآتي:

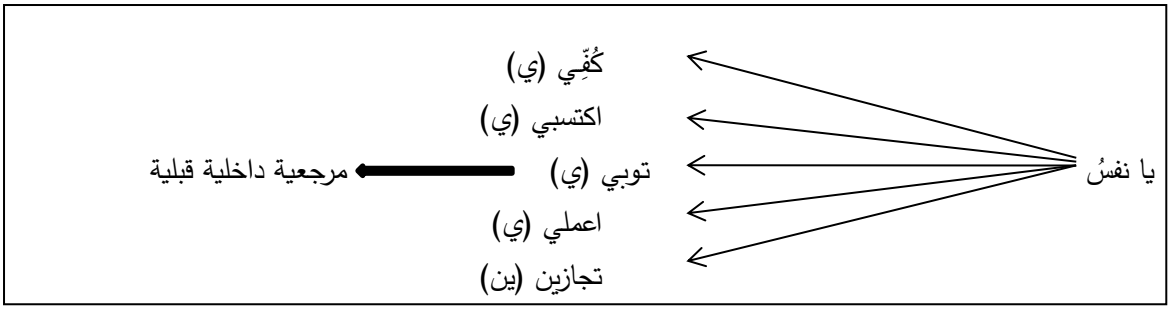

ومن أمثلة النسق الإحالي للضمير المستتر في القصيدة قول الإمام:

كأنَّني بَيْنَ تِلْكَ الأَهْلِ مُنطَرِحًا على الفِراشِ وَأيديهم تُقَلِّبُني

وَقَدْ أَتَوا بِطَبيبٍ كـيْ يُعَالِجَني فَلَمْ أرَ الطبيبَ الآنَ يَنْفَعُنـي

فالضمير المستتر تقديره (هي) في تُقَلِّبُني يعود على (أيديهم) إحالة قبلية سابقة، والضميران المستتران في (يُعَالِجَني) و(يَنْفَعُني) يعودان على (بطبيب، والطبيبَ) إحالة قبلية سابقة، والنسق الإحالي الضميري بأنواعها يؤول إلى ترابط أجزاء القصيدة، وتماسك الملفوظات. أمَّا الإحالة إلى اللاحق فلم ترد إلَّا في موضع واحد وهو قوله:

وَاسْتَبْدَلَتْ زَوجَتي بَعْلًا لَهَا غَيْري وَحَكَّمَتْهُ في الأموالِ وَالسَّكَنِ

فالتاء في (اسْتَبْدَلَتْ) تعود على (زَوجَتي) إحالة بعدية لاحقة، وهذا خلق نسيجًا ترابطيًا عاليًا في البيت.

2- إحالة على ما هو خارج اللغة: تسمَّى بالإحالة المقامية: وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، إذ يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلِّم (الزناد ا.، 1993م، صفحة 119)، (خطابي،

صفحة 17)، (عزوز، 1431هـ = 2016م، صفحة 61)، وعند الاستعمال "تصبح للإحالة قدرة على إرجاع المتخاطبين (المتكلِّم والمخاطب) إلى شيء موجود في الواقع وهو ما سمَّاه اللغويون القدامى (خارجًا)، ولأنَّه يرجعنا إلى الواقع ويربطنا به فقد سمَّاه المحدثون مرجعًا (Reference) فلكلّ وحدة لغوية مهما كانت طبيعتها (ناقصة أو تامة) – مقابل في العالم الخارجي، وإنْ تفاوتت في درجات الإحالة باعتبار الإحالة المباشرة والإحالة غير المباشرة التي تحتاج إلى وساطة" (هبيّل، 2017م، صفحة 32)، (أعمال الندوة العلمية الثانية لجامعة القيروان، 2008م، صفحة 139).

وعليه، فكلُّ ملفوظ من ملفوظات القصيدة لها واقع خارجي، فمثلًا الكفن له واقع خارجي معهود في ذهن المتكلِّم، والضمير المتصل (الياء) يرجع إلى ذات الإمام، والضمير (هم) في قوله: (وَأيديهم تُقَلِّبُني) يدلُّ على ذات أقاربه وأصدقائه، والأمثلة كثيرة في هذا النحو، إذ لا يخلو بيت من ذلك. ومهما يكن من أمر فإنَّ النسق الإحالي الضميري بأنواعه المتباينة آل إلى ربط أجزاء القصيدة بعضها ببعض، إلى جانب خلق تماسك شديد بين الملفوظات.

ب– النسق الإحالي المقارني: يقتضي هذا النوع المقارنة بين شيئين يشتركان في سمة واحدة بينهما، ويشمل هذا النمط نوعين من المقارنة وهما:

1– المقارنة العامة، يمكن تصنيف الألفاظ إلى أربع مجموعات: ألفاظ المقارنة التي تعبِّر عن التشابه، ومنها شبيه ومشابه، وألفاظ المقارنة التي تعبِّر عن التطابق منها نفسه، وعينه، مطابق – مساوٍ ... وألفاظ المقارنة التي تعبِّر عن التخالف نحو يختلف – مغاير – آخر، وألفاظ المقارنة التي تدلُّ عن الآخر نحو: البديل، الباقي، وتتماز ألفاظ المقارنة بأنَّها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يؤهلها؛ لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك (علي، 2013م، صفحة 81، 82).

وبعد التأمُّل تراءى لنا بأنَّ ألفاظ المقارنة التي تعبِّر عن التشابه وردت مرة واحدة في القصيدة بوساطة الملفوظ الدال على التشبيه (كأنَّني) فيقول الإمام:

كأنَّني بَيْنَ تِلْكَ الأَهْلِ مُنطَرِحًا على الفِراشِ وَأيديهم تُقَلِّبُني

فوجود أحد مورفيمات المقارنة (كأنَّني) يفيد التشبيه الذي يربط السابق باللاحق، وهذا متحقِّق في القصيدة؛ فالإمام آثر بهذه الوحدة النصية أنْ يرسم لنا صورة ضعفه بعد ما هو منطرح على الفراش أمام أهله، من دون أي حول له ولا قوة، وتقلِّبه أيديهم صورة شاخصة أخرى توحي بعدم القدرة والضعف.

2– المقارنة الخاصة للتعبير عن الموازنة بين شيئين أو أكثر من حيث الكم، والكيف، والنوع، واسم التفضيل في العربية يقوم بوظيفة المقارنة الخاصة (علي، 2013م، صفحة 83)، التي وردت في موضعين اثنين وذلك في قول الإمام:

وَجاء نَحْوي أَحَبُّ الناسِ في عَجَلٍ يَبْغي المُغَسِّلَ كَـــي يُغسِّلَني
وَالحَمْدُ للهِ مُمْسيـــنا وَمُصبحُنا بالخَيْرِ وَالعَفْوِ والإحْسَانِ والمِنَنِ

حقَّق كل من (أَحَبُّ)، و(بالخيرِ) إحالة عن طريق المقارنة الخاصة، ففي البيت الأوَّل يصف كيفية إتيان أحبُّ الناس إليه لكي يُغسِّله، أمَّا بالخير فوقع بالحمد على الذي يمسينا ويصبحنا.

ج- النسق الإحالي الموصولي: لهذا النسق إسهام في اتساق النص وتماسكه، ويؤدِّي وظيفة الربط القبلي والبعدي، وقد ورد في قصيدة (ليس الغريب) في موضعين، الموضع الأول قوله:

أَنَا الَّذي أُغْلِقُ الأَبْوابَ مُجْتَهِدًا عَلَى المَعاصي وَعَيْنُ اللهِ تَنْظُرُني

فالاسم الموصول (الذي) يدلُّ على (أنا) إحالة قبلية، وقد أحال بعديا على جملة الصلة التي جاءت بعده (أغلق) والضمير المستتر الذي تقديره (أنا) أحال قبليًا إلى (أنا الذي)، والموضع الآخر هو قول الإمام:

دَعْ عَنْكَ عَنّي يا مَنْ كان يَعذلُني لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ ما بي كُنْتَ تَعْذُرُني

(مَن) اسم موصول بمعنى (الذي)، ربط أجزاء هذا البيت، إذ لا يتمُّ معنى البيت بحذفها.

د- النسق الإحالي الإشاري: لهذا النسق أثر كبير في ترابط النص وتماسكه، لكونه يحدِّد عدد المشاركين في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وهو من الأنساق المبهمة التي تحتاج إلى ما يفسِّرها مقدّمًا أو متأخِّرًا، وهناك إشارات دالَّة على القرب، وأخرى دالَّة على البعد، بحسب موقع المتكلم، والمقام، والزمان (الزناد ا.، 1993م، الصفحات 115 – 117)، (النجار، 2013م، صفحة 37)، (الداودي، 1431هـ = 2010م، صفحة 104)، ولهذا النسق حضور في موضع واحد، وهو قوله:

كَأَنَّني بَيْنَ تِلْكَ الأَهْلِ مُنْطَرِحًا عَلى الفِراشِ وأَيْديهم تُقَلِّبُني

(تلك) اسم إشارة للبعيد الدالّ على القريب، ذلك أنَّ أهله يكونوا بقربه في الوقت الذي هو منطرح على الفراش، و(تلك) يدلُّ على (الأهل) إحالة بعدية، جاءت موضِّحة ومفسِّرة لـ(الأهل).

يلخَّص ممَّا تقدَّم: أنَّ النسق الإحالي بأضربه المتباينة له أهمية بالغة في ترابط أجزاء النص بعضها ببعض في قصيدة (ليس الغريب)، ولا سيما نسق الإحالة الضميرية، إذ له حضور كبير في القصيدة، ذلك أنَّ "مرجعيات التلفظ ... تتطلَّب معرفة بالموقف الكلامي (المستمع، والمكان، والزمان، وجهة الحدث) من أجل تأويلها إشاريًا (Referentially)" (طعمة، 1441هـ = 2020م، صفحة 95)، وهناك فائدة أخرى للنسق الإحالي، وهي مساعدة الذاكرة على الاهتداء بآثار الألفاظ السابقة، فيكون للمتكلِّم والمتلقي أثر في حركة النص، ودلالته، وتماسكه، عند استعمال هذه الطرق الإحالية الموجزة (بودرع، 1440هـ = 2019م، صفحة 387).

ثانيًا: النسق الاستبدالي (The Subsitution Pattern):

عملية اتساقية تؤول إلى الربط في داخل النصوص، تتمُّ داخل النص على المستويين النحوي والمعجمي بين كلمات وعبارات، بتعويض عنصر مكان عنصر آخر، ومعظم حالاته تكون قبلية، إذ: يذكر العنصر ثمَّ يستبدل

في الجملة نفسها أو في جملة أخرى، أي: يتمُّ في داخل النص العدول عن العنصر الأول، وهو العنصر الأصلي، إلى العنصر المستبدل به؛ لأداء وظائف متعدِّدة ترتبط بالمقام، والدلالة في النص، وبلاغة الخطاب (خطابي، صفحة 19)، (أبو صيني، 2015م، صفحة 55).

أنواع النسق الاستبدالي:

يتوزَّع النسق الاستبدالي على ثلاثة أنواع:

1- النسق الاستبدالي الاسمي: يتمُّ هذا النوع "باستعمال وحدات لغوية اسمية مثل: آخر، آخرون، نفس، وفي الإنجليزية (Same, ones, one)" (عزوز، 1431هـ = 2016م، صفحة 68).

الناظر إلى هذه القصيدة يلحظ عدم استعمال هذه الوحدات اللغوية كالآخر، والآخرون، ...؛ للدلالة على النسق الاستبدالي الاسمي، إلَّا أنَّ المتمعِّن يلتمس وجود هذا النوع من الاستبدال بإحلال اسم في محل اسم آخر وهذا ورد في ثلاثة مواضع، الأول في البيت المفتتح للقصيدة:

لَيْسَ الغَرِيبُ غَرِيبَ الشَّامِ واليَمَنِ إنَّ الغريبَ غريبُ اللَّحْدِ وَالكَفَنِ

فاستبدل الإمام الشام واليمن باسمين آخرين بديلين لهما (اللَّحدِ وَالكَفَنِ)، وهما أدَّيا وظيفتهما الدلالية، لكن بلفظين جديدين، وهذا ما آل إلى التنويع بالمفردات، والكفاءة اللغوية العالية لدى الإمام.

والموضع الثاني هو قوله:

وَاسْتَبْدَلَتْ زَوجَتي بَعْلًا لَهَا غَيْري وَحَكَّمَتْهُ في الأموالِ وَالسَّكَنِ

يلحظ هنا استبدال الاسم (غيري) باسم آخر بديل له (بعلًا)، وهو استبدال قبلي، وممَّا يعضِّد هذا الاستبدال وجود كلمة (استبدلت) في بداية البيت. أمَّا الموضع الثالث فقد يكمن في استبدال (ولد) بـ(عبد) في قوله:

وَصَيَّرَتْ وَلَدي عَبْدًا لِخِدْمَتِهِ وَصَارَ مالي لَهُمْ حِلًّا بِلَا ثَمَنِ

2- النسق الاستبدالي الفعلي: يتحقَّق باستعمال فعل يرتبط بفعل آخر، أو بفعل متعلّق به، نحو: يعمل، ويفعل (do) في الإنجليزية غالبًا (خطابي، صفحة 20)، من شواهد هذا النسق ثلاثة مواضع في القصيدة، الموضع الأول هو قوله:

دَعْني أنُوحُ على نَفْسي وَأَنْدُبُها وَأَقْطَعُ الدَّهرَ بالتذكيرِ والحَزَنِ

لقد حدث الاستبدال القبلي في هذا البيت بين نسقين فعليين وهما (أنوح)، و(أَنْدُبُها)، أي: استبدال الإمام (أنُوحُ على نَفْسي) بالفعل المتعلّق به (وَأَنْدُبُها) والضمير المتصِّل عائد إلى نفسي، ولم يكن هذا الاستبدال اعتباطًا، بل لشدَّة الربط بين المستبدل به، والمستبدل منه. والثاني هو استبدال قبلي بين نسقين فعليين وهما (وراح الكلُّ) و(انصرفوا) أي: استبدل (وراح الكل) بالفعل (انصرفوا) استبدالًا قبليًا؛ لشدة الترابط المعجمي بينهما في قوله:

وَغَمَّضوني وَراحَ الكُلُّ وانْصَرَفوا بَعْدَ الإيَاسِ وَجَدُّوا في شِرا كَفَنِ

والموضع الثالث هو قوله:

فَجاءني رَجُلٌ مِنْهُمْ فجَرَّدَني مِنَ الثِّيابِ وَأَعْراني وَأَفْرَدَني

لقد ورد فعل الاستبدال (فجَرَّدَني) مقترنًا بنون الوقاية وضمير المتصل (الياء) الذي هو في محل نصب مفعول به، وهذا هو الفعل المستبدل منه، بفعل الاستبدال المقترن بنون الوقاية والضمير المتصل (الياء) وهو (وَأَعْراني) وهو استبدال قبلي أيضًا، ولم يحصل هذا إلَّا لوجود الترابط الشديد بين أجزاء القصيدة، وهذا ما أضاف القيمة الجمالية لها.

3- النسق الاستبدالي القولي: يتمُّ هذا النسق باستعمال (ذلك، هذا، لا)، وفي الإنجليزية بـ(not , so)، وهو يفيد إلى جانب الترابط، اختصار العبارات والأقوال (عزوز، 1431هـ = 2016م، صفحة 69)، ولهذا النسق حضور في موضع واحد في القصيدة وذلك حينما استبدل الإمام (في ظلمة القبر لا أمٌّ) بـ (هناك) استبدالًا قوليًا قبليًا في قوله:

في ظُلمَةِ القَبْرِ لَا أمٌّ هُناك وَلا أبٌ شفيقٌ وَلا أخٌ يؤنِسُني

ثالثًا: النسق الحذفي (The Ellipsis Pattern):

نسق شائع من أنساق الترابط النحوي، يتمُّ عن طريق إسقاط بعض العناصر من النص، معوّلًا على فهم المخاطب تارة، ووضوح السياق تارة أخرى، والحذف اعتداد بالمبنى العدمي أو ما يسمّونه بـ(Zero Morpheme)، فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبًا، بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 34)، (النجار، 2013م، صفحة 40)، وقيل: "إنَّ النسق الحذفي مثال آخر للتناوب (Trade off) بين الإيجاز وسرعة الإتاحة، ويتطلَّب الإيغال في الحذف جهدًا أكبر لربط نموذج العالم التقديري للنص بعضه ببعض في الوقت الذي يقتطع من البنية السطحية بشدَّة، ووجود الحذف بدرجات مختلفة يتلاءم كلّ منها مع النص والموقف" (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 345). وللنسق الحذفي أنماط متعدِّدة كالنسق الاسمي الواقع في الفاعل والابتداء، والخبرية، والإضافة، والحالية، والتمييز، والنعت، والمعطوف، والظرف،.... هلمّ جرًّا، والنسق الفعلي الذي يرد قليلًا بحذف الفعل، والنسق الجملي وغيرها من النسق (ابن جنّي، صفحة 2/ 362)، (ابن هشام، 1431هـ = 2010م، صفحة 2/ 708)، (النجار، 2013م، صفحة 43، 44). وبعد إمعان النظر في قصيدة (ليس الغريب) تبيَّن لنا أنَّ النسق الحذفي أتى بنمط واحد، وهو بخاصية حذف النسق الاسمي المتمثِّل بالفاعل المستتر تقديره (هو) في أربعة وأربعين موضعًا، و(هي) في اثني عشر موضعًا، و(أنتَ) في عشرة مواضع، كما سبقت الإشارة إلى ذلك في اللائحة الخاصة بالضمائر آنفًا. وقد جاء هذا النسق الحذفي متمثِّلًا في قول الإمام:

سَفَري بَعيدٌ وزادي لَنْ يُبَلِّغَني وَقوَّتي ضَعُفَتْ وَالمَوْتُ يطْلُبُني

عوَّل الإمام في هذا البيت على استعمال ثلاثة أنساق محذوفة الفاعل، إذ إنَّ الضمير المستتر تقديره (هو) في الفعلين وهما (يُبَلِّغَني، ويطْلُبُني)، ففي الفعل الأول الضمير المستتر عائد إلى (زادي)، أمَّا في الفعل الثاني

فالضمير المستتر عائدٌ إلى (وَالمَوْتُ)، والنسق الفعلي الثالث يتوسَّط بين الفعلين السابقين وهذا ما شكَّل نسقًا جميلًا وهو الفعل (ضَعُفَتْ) الفاعل فيه ضمير مستتر تقديره (هي) عائد إلى (وَقوَّتي)، وكلَّما ورد النسق الحذفي في النص يدلُّ على البلاغة والفصاحة أكثر؛ لأنَّ "ترك الذكر أفصح من الذكر" (الجرجاني، 1424هـ = 2000م، صفحة 146)، ولعلَّ استعمال الإمام لهذا النسق بنمط واحد، وبهذا النزر اليسير يدلُّ على أنَّه آثر إيصال آهاته، وآلامه إلى المتلقي بأوضح صورة وأبينها؛ ليفهمه الجميع، فالقصيدة صراع مع النفس فيها العظة، والإرشاد والنصح، وعليه فإنَّ النسق الحذفي أسهم في ترابط أجزاء القصيدة بعضها ببعض.

القسم الثاني/ النسق الترابطي المعجمي:

يتحقَّق هذا القسم بنسقين اثنين وهما نسق التكرار، والتضام (المصاحبة المعجمية):

1- النسق التكراري (The Repetition Pattern):

نسق من أنساق الترابط المعجمي يقتضي إعادة عنصر معجمي، أو مرادفه، أو شبهه، أو عنصر مطلق، أو اسم عام (خطابي، صفحة 24)، وينقسم النسق التكراري إلى ثلاثة أقسام في قصيدة (ليس الغريب)، وهي:

أ- النسق التكراري التام – المحض (Full Repetition Pattern): يتمثَّل في تكرار بعض الكلمات والألفاظ، والمرجع واحد، ويحقَّق أهدافًا تركيبية ومعنوية كثيرة (الحساني، 1433هـ = 2012م، صفحة 250)، أو يسهم في خلق وحدات نصية متناسقة، وقد اتَّكأ الإمام في قصيدته على استعمال هذا النسق التكراري أكثر من الأنساق الأخرى، فمن شواهد هذا النسق: تكرار عبارة (لعلَّ اللهَ يَرْحَمُني) في البيتين الرابع والعشرين، والتاسع والثلاثين، في الموضع الأول مترجيًّا رحمة الله بعد ما صلُّوا عليه صلاة لا ركوع ولا سجود فيها، والثاني في سياق مخاطبة النفس؛ للكفِّ عن العصيان وفعل الخيرات.

وتردَّد (يا نَفْسُ) مرتين في مطلع بيتين متواليين، وذلك في سياق الحثِّ عن العمل الصالح، والكفِّ عن المعصية، والتوبة والرجوع إلى الله، وأنَّ هذا التوالي بين أنماط هذه الأنساق المكرَّرة في البيتين المتتاليين خلق شحنات إيقاعية إلى جانب الشحنات الدلالية. أمَّا على مستوى الكلمات فالقصيدة زاخرة بتكرار تام للكلمات بصورة كلية، وبأنساق اسمية، وفعلية، وحرفية، فمن الأنساق الاسمية تردَّد لفظ الجلالة خمس مرات في القصيدة؛ للتبرُّك وملاءمة دلالات القصيدة كالتوبة، والرجوع إلى الله، وترك المنكرات، وفعل الخيرات، والنسق التكراري التام للكلمات هو ورود (الأهل) ثلاث مرات، وكل من (الغريب، غريب، الموت، ذنوب، رجلٌ، زادي، زاد، الدنيا، وزري، نفس) مرَّتين، والنسق التكراري الفعلي يتجسَّد في ورود (صار) أربع مرات، (وانصرفوا) ثلاث مرات، وكلّ من (يُبَلِّغني، كان، كنت، دعني، وقال، يرحمني، هالني) مرَّتين، والنسق التكراري الحرفي ورد بـ(في) ست عشرة مرَّة، و(لا) خمس عشرة مرَّة، و(على) تسع مرَّات، و(مِنْ) ثماني مرَّات، و(يا) خمس مرات، و(ما) أربع مرات، و(قد) ثلاث مرَّات، وكلّ من (ثمَّ، لعلَّ، مَنْ، منهم، عن، بعد) مرَّتين.

ب- النسق التكراري الجزئي (Partial Repetition Pattern): يتمُّ هذا عن طريق تكرار جزءٍ من الكلمة، وذلك بأن يستخدم الجذر اللغوي استخدامات مختلفة، فتشتق من الجذر نفسه كلمات أخرى بدلالات جديدة (البطاشي، 1430هـ = 2009م، صفحة 66)، ومن أكثر الألفاظ تردُّدًا في هذا النسق خمس ملفوظات (المغسِّل – يُغَسِّلُني – غاسلًا – غَسَّلَني – غسلًا) بدلالات متقاربة، مشتقة من جذر لغوي واحد (غ . س . ل)، وهناك مجموعة كلمات تمثِّل هذا النسق التكراري في القصيدة، وهي أنساق رباعية (فصلَّى – صلُّوا – صلاة – الصلاة) مشتقة من (ص . ل . و)، و(من – منهم – منك – منها)، وأنساق ثنائية نحو: (الشام واليمن – شام ويمن، ليس – لست، والغريب – غريب، ونفسي – نفس، وطبيب – الطبيب، وكل – الكل، أديب – أريب، ودع – دعني، وصار – صيَّرت، والقوم – قوم، والكفن – بالكفن، وحنوطًا – يُحَنِّطني، وزادي – زاد، والكل – كل، وأنزلوني – وأنزلوا، وقام – فقام، وقال – أقول، وعلى – عليه، والثوب – الثواب، والقبر – قبري، وجاء – فجاءني، ولحُّوا – الألواح، ومنكر – نكير، وذنوب – بذنب، والأموال – مالي، ودموعًا – الدمع، والدنيا – دنياك، وحسنًا – بالحسن، والله – لله)، فهذه النسبة العالية من النسق التكراري في القصيدة، لم تأتِ عبثًا، بل لتحقيق الترابط بين الوحدات النصية، وتماسك أجزائها، والمتلقي لا يكرِّر "شيئًا في النص إلَّا ويقصد أنْ يرسخ به مقولة ما" (الداودي، 1431هـ = 2010م، صفحة 162)، فقد كرّر الإمام أنساقًا كثيرة، وطوَّر بالتكرار فكرة الرحيل من الدنيا، واستعمل حقولًا دلالية مرتبطة بذلك الموضوع كالغسل، والموت، والصلاة، والذنوب، والفراق،.... وألفاظ أخرى زادت من ترابط الوحدات النصية فيما بينها.

ج- النسق التكراري المتوازي (Parallelism Repetition Pattern): يقصد به "تكرار البنية مع ملئها بعناصر معنوية جديدة مختلفة" (البطاشي، 1430هـ = 2009م، صفحة 69)، ويمثِّل هذا النسق مطلع قصيدة الإمام:

لَيْسَ الغَريبُ غَريبَ الشَّامِ واليَمَنِ إنَّ الغريبَ غريبُ اللَّحْدِ وَالكَفَنِ

يخلق هذا النوع من النسق إيقاعًا موسيقيًا رتيبًا يسهم بشكل فعَّال في ربط الأنساق النصية، ويتجلَّى هذا في قوله: (ليس الغريبُ غريبَ) مع (إنَّ الغريبَ غريبُ)، وقوله (الشام واليمن) في صدر البيت مقابل (اللَّحدِ وَالكَفَنِ) في عجز البيت.

د- النسق التكراري للقالب التركيبي: يتمُّ هذا النسق عن طريق التكرار النسقي للأساليب النحوية أو القوالب التركيبية، فمن أكثر الأساليب حضورًا في القصيدة أسلوب النداء، إذ ورد في ستة مواضع؛ خرج من دلالته الأصلية إلى دلالة مجازية وهي التحسُّر والتوجع في خمسة مواضع منها، وذلك حينما خاطب الزلة والحسرة، والنفس مرتين والأمل، وقد استعمل النداء بدلالته الأصلية في موضع واحد، وقد تجسَّد هذا في مناداة قومه، ومن الأساليب المكرَّرة الأخرى استعمال لا النافية الزائدة لتأكيد النفي الذي يتلوه مصدر وتسبقه الواو، مرَّتين في قوله: (ولا بُكاءٍ ولا خَوْفٍ ولا حَزَن) مع (بِلا رِفْقٍ ولا هَوَنِ)، والمعادلة الآتية توضِّح هذا الاستعمال:

الواو + لا الزائدة لتأكيد النفي + المصدر

ويتلوه الفعل (يؤنِّسني) بدل المصدر في قوله: لا أمٌّ هناك ولا أبٌ شفيقٌ ولا أخٌ يُؤَنِّسُني، كما نلتمس تكرار حرف الجر والاسم المجرور مع المعطوف في ثلاثة مواضع أيضًا وهي قوله: في السرِّ والعَلَنِ، وفي الأموال والسكنِ، وفي الأهل والوطن، وهذه التكرارات أثرت في ترابط أجزاء القصيدة وتلاحمها بشكل محكم في وسم النص بإيقاع داخلي رتيب.

2- النسق التضامي (المصاحبة المعجمية):

يقصد بهذا النسق توارد زوج من الألفاظ؛ لوجود روابط بين تلك الألفاظ في النص، أو علاقات تربط بين تلك الكلمات والواقع (خطابي، صفحة 31)، والصورة العامة التي تحدِّد معالم هذا النسق في القصيدة تكمن في اجتماع حشد من الكلمات يعبِّر عن حقل من حقول الواقع في الحياة، وهذا ما يتجلَّى في القصيدة بكل وضوح، ويمكن تصنيف المجالات المعجمية في القصيدة على النحو الآتي:

- ألفاظ دالَّة على الحزن والألم، نحو: بكاء، خوف، حَزَن، تحرقني، أنوح، أندبها، الحَزَن، دموع، الدمع، هَول، أفزعني.

- ألفاظ دالَّة على الموت والرحيل والفراق، نحو: اللحد، الكفن، الموت، الروح، كفني، المغسّل، فجرَّدني، من الثياب، أفردني، الألواح، غسَّلني، رحيل، المحراب، الترب، القبر، منكر، نكير، الموت ... .

- ألفاظ دالة على التحسُّر والتوجُّع والتأسُّف نحو: الغريب، غريب، ندم، ضَعُفَت، زلَّة، حسرة، دموعًا، وانصرفوا، وأودعوني، فوا أسفاه، فارَقَني، فأثْقَلَني ....

تمثِّل هذه الكلمات معالم النسق المعجمي العام في القصيدة، إذ لها تأثير بالغ في ترابط أجزاء النص والتحامه. ولا يمكن تصنيف أو إبراز هذه الكلمات إلَّا لوجود العلاقات النسقية التي تحكم هذه الكلمات، فمن أبرز تلك العلاقات النسقية في القصيدة ما يأتي:

أ- نسق (علاقة التضاد) (النجار، 2013م، صفحة 58)، (عزوز، 1431هـ = 2016م، صفحة 81) بين الأسماء المتعارضة نحو: السر والعلن، وأمٌّ وأبٌ، والعصيان وفعلًا جميلًا، ومُمْسينا ومصبحنا)، أو بين الأفعال المتضادَّة نحو: (ذَهَبَتْ وبقيت)، فـ"العلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج... هي علاقة التعارض أو التضاد" (الداودي، 1431هـ = 2010م، صفحة 58)، وبعبارة أخرى، أنَّ هذه الكلمات "تحكمها علاقة (نسقية) حقَّقت الاتِّساق، وهي علاقة معجمية دلالية بين اللفظتين، إنَّها علاقة التضاد (Opposition) وهي واحدة من بين العلاقات الكثيرة التي تربط كلمة بمجموعة من الكلمات المصاحبة لها، يدركها مستعمل اللغة" (عزوز، 1431هـ = 2016م، صفحة 81، 82).

ب- نسق (علاقة التدرج التسلسلي المرتَّب بين زوجين من الألفاظ) (خطابي، صفحة 25) و (النجار، 2013م، صفحة 59)، من أمثلة هذا النسق في القصيدة (ساعات – أيَّام، وقوَّتي ضَعُفَت – الموت يطلبني، وأنوح – أندبها، وأسكب الماء – غسَّلني، وقَدَّموني – وانصرفوا، وخذ القناعة – وارض بها، وتوبي – تجازين).

ج- نسق علاقة الجزء بالكل: من العلاقات التي لا تظهر إلَّا مع موضوعات خاصَّة، يهدف الكاتب بها إلى تقديم خاص لمفهوم عام، فهو لا يصفه، بل يقوم بعرض تصوّر خاص له بذكر بعض أجزائه المكوّنة له، وصفاتها الملازمة، ممَّا يكمل الصورة المقصودة لهذا الشيء العام (خطابي، صفحة 25)، ومن شواهد هذا النسق تجسيد (الموت) وهو الشيء العام بتصوُّرات خاصة كذكر بعض أجزائه نحو: شراء الكفن، والغسل، والتقديم إلى المحراب، وأداء صلاة الجنازة، والنزول إلى القبر، وحثو التراب.

د- نسق علاقة الجزء بالجزء: "يحاول الكاتب ذكر أكبر عدد من الأجزاء؛ بهدف تقديم صورة عامَّة؛ لما تشكِّله من كل واحد، وهي بذلك تختلف عن العلاقة السابقة التي تشكّل فيها الأجزاء – بالاختيار الخاص لبعضها – معنًى خاصًا ومقصودًا للكل الذي تنتمي إليه" (فرج، 2007م، صفحة 115). ومن أمثلة نسق المصاحبة المعجمية عن طريق علاقة الجزء بالجزء في القصيدة، هذه الألفاظ، عين، القلب، أيديهم، الحلق، عينيه، وجهي، العين، التي تدلُّ على علاقة هذه الأعضاء بعضها ببعض، كما تمثِّل علاقة الجزء بالكل، إذا اعتبرت علاقة هذه الأعضاء بجسم الإنسان.

هـ- نسق (علاقة الصنف العام) (النجار، 2013م، صفحة 59): نلتمس هذه العلاقة في أنَّ كلًّا من هذه الألفاظ (اشتدَّ نزعي، واستخرج الروح، وشرا كفني، ويبغي المغسِّل، وفجرَّدني من الثياب، وأودعوني على الألواح، وألبسوني ثيابًا لا كمام لها، وقدَّموني إلى المحراب، وأنزلوني في قبري) لها علاقة بمراسيم دفن الميِّت، وهي الصنف الذي يجمعها.

و- نسق (علاقة التلازم الذكري) (البطاشي، 1430هـ = 2009م، صفحة 68): هذا النسق محدود في القصيدة، من أمثلته منطرحًا على الفراش، يستلزم الطبيب، وهذا التوارد والتصاحب المعجمي بين الألفاظ يزيد من قوَّة الترابط والتماسك بين أجزاء القصيدة، كما قال الزركشي (ت 794هـ) في توارد (غرابيب) مع (سود) رغم أنَّها متضمِّنة لمعنى السود: "وبذكر السود وقع الالتئام واتَّسق نسق النظام، وجاء اللفظ والمعنى في درجة التمام" (الزركشي، 1427هـ = 2006م، صفحة 2/ 274).

القسم الثالث: النسق الترابطي الصوتي

يتحقَّق هذا النسق بالعناصر الآتية:

1- الوزن والقافية: يسهمان في اكتمال النسق الصوتي لمفهوم الترابط، أي: عناصر صوتية تقارب بين أنساق كلمات النص على أساس مبدأ التشابه، أو الوحدة الإيقاعية، وليس لها أساس نحوي أو معجمي، وهذا النسق

خاص بالشعر (فرج، 2007م، صفحة 120، 121)، (القرطاجنّي، 1964م، صفحة 263)، وقد نسجت القصيدة على نسق البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن) في الصدر والعجز، وناسب هذا النسق الإيقاعي امتداد نفس الإمام؛ لتخريج آهاته الحبيسة، وأنَّ انتقاء هذا الوزن لم يكن اعتباطًا، بل اقتضاه الموضوع، لأنَّ اختيار الوزن يتوقَّف على "معرفة طرق التناسب في المسموعات والمفهومات، لا يوصل إليها بشيء من علوم اللسان إلَّا بالعلم الكلي في ذلك، وهو علم البلاغة الذي تندرج تحت تفاصيل كليَّاته ضروب التناسب والوضع" (القرطاجنّي، 1964م، صفحة 226).

أمَّا القافية فهي تشمل الحرف الأخير من البيت الشعري إلى أوَّل ساكن يسبقه، مع الحرف الذي قبل الساكن (عبدالرزاق، 2022م، صفحة 111)، وتنوَّعت القافية المستعملة في القصيدة على ثلاثة أضرب، إذ إنَّ الضرب الأوَّل عبارة عن الكلمة الأخيرة في الأبيات الستة والعشرين من القصيدة نحو: (وَالكَفَنِ، يطلبني، والعلنِ، يسترني، تنظرني، تحرقني، تعذرني، والحزنِ، ينفعني، غرغرني، أفردني، ينْظفني، بالكفنِ، حنَّطني، ودَّعني، يَرْحَمُني، أغرقني، فارقني، أدهشني، أفْزَعني، مُرْتَهنِ، والسَّكنِ، والوطن، يَرْحمني، بالحسنِ، والمنن)، وهذا النسق من القافية منح القصيدة جمالية فائقة؛ لتصوير كنه الإمام تصويرًا شاخصًا دقيقًا، وهو أقوى أنواع القافية، والضرب الثاني يتألَّف من الجزء الأخير من الكلمة نحو: (خلِّصني، قلِّبْني، غَسِّلْني، بلِّغني، لَحِدُّني، أنِّسْني، أَثْقَلَني، خَلِّصْني) وقد ورد في ثمانية مواضع، وهو متساوٍ مع الضرب الثالث الذي هو الكلمة الأخيرة مع جزء من الكلمة التي قبلها، وذلك في (لا حَزن، لا هَوَنِ، راكفني، فلفطني، ذي المننِ، لا ثَمَنِ، تُلْبَدَنِ، في يَمَنِ).

يتجلَّى ممَّا سبق: أنَّ قوافي الأبيات منحت القصيدة إيقاعًا موسيقيًا حزينًا، وهندسة صوتية منتظمة تتلاءم ونغمة الأسى والأسف على فراق الدنيا.

2- نسق الروي: تشكِّل النون مرتكزًا محوريًا لنسق الروي في قصيدة (ليس الغريب)، وتمثِّل أعلى درجات الوضوح السمعي (Sonarity) من بين الأصوات الصامتة؛ لما فيها من حزم صوتية عالية (Formants)، تمنحها وضوح الصوت، وتوحي النون بالأنين، وهي تعبِّر عن النفسية الحزينة النادمة أصدق تعبير، وهذا يتلاءم والقصيدة المبنية على الحزن والأنين، وقد زادت من هذا الأنين حركة الكسرة تحت النون في ستة عشر بيتًا، وإشباعها ياءً مدِّيًا في ستة وعشرين بيتًا، وأنَّ حضور هذا المدّ اليائي في نهاية الأبيات يستدعي "المتلقي إلى الكشف عن الطبيعة الدلالية لهذه الدوال الحاملة لذلك الصوت، ومن ثم الدخول منها؛ للوقوف على مقصدية الخطاب المقروء" (الحساني، 1433هـ = 2012م، صفحة 147)، ولم يكن الإشباع مبالغة في الكم الزمني للكسرة فحسب، بل يوحي بمبالغة الحزن، والندامة، والتأسُّف، وهذا يحاكي الآهات الحبيسة، والحالات الشعورية والنفسية للإمام والامتداد فيها تمامًا.

3- نسق الجناس: يقصد به تشابه الكلمتين في اللفظ، ومنه التام والناقص والمضارع، واللاحق، فالتام هو عدم تفاوت المتجانسين في اللفظ، إذ يتفقان في أنواع الحروف، وأعدادها، وهيئاتها، وترتيبها، أمَّا الجناس الناقص فهو

ما يحدث إن اختلفت الكلمتان في عدّ الحروف إمَّا بزيادة حرف، أو أكثر من حرف، أو باختلاف حرف بين اللفظين المتجانسين، والمضارع، أو المطرف وهو أنْ يختلفا بحرف أو حرفين مع تقارب المخرج، واللاحق هو أن يختلفا من دون تقارب (السَّكَّاكي، 1420هـ = 2000م، صفحة 539)، ولم يرد التام والناقص في القصيدة، ومن أمثلة المضارع الجناس القائم بين (ثيابًا – ثواب)، كما يلتمس الجناس اللاحق في موضع واحد أيضًا بين (أبٌ – أخٌ)، فالهيكلية التكرارية للكلمات في بعض الأبيات، خلقت قوالب نحوية متوازية، تسهم في إثارة المتلقي وتشويقه، ويمكن القول: "إنَّ البنية الشعرية ذات طبيعة تكرارية حين تنتظم في نسق لغوي، ومن ثمَّ تخلق وضعًا شديد التعقيد، فهذه القصيدة أو تلك تمثِّل بذاتها نصًّا كلاميًا، وهذا النص في الحقيقة هو نظام، بل هو إحداث جزئي (Realization) للنظام، ولكنه باعتباره لوحة شعرية للعالم، يقدِّم نظامًا كليًّا تتحقَّق من خلاله الموقعية التكرارية بالكامل" (أحمد، 1995م، صفحة 63)، وبصورة عامة، فإنَّ عناصر النسق الترابطي الصوتي مجتمعة تسهم في إشعار المتلقي بترابط النص واتّساقه لحظة أدائه، فالمتلقِّي يستهويه البعد الموسيقي للغة أوَّلًا، ولا سيَّما إذا كان أداء النسق الصوتي للنص يسير على نمط إيقاعي منتظم سواء في مقاطع النص الشعرية، أو النثرية (فرج، 2007م، صفحة 121).

ثانيًا: النسق الانسجامي (The Pattern of Coherence):

يكاد يتَّفق الباحثون المحدثون على أنَّ النسق الانسجامي في الدراسات النصية هو البنية التحتية لأدوات الربط الظاهرة، ويعوِّل على علاقات داخلية وعناصر مقامية متعالقة يتمُّ بوساطتها فهم النص (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 103)، (الشاوش، 1421هـ = 2001م، صفحة 1/ 111)، (النجار، 2013م، صفحة 82)، (هبيّل، 2017م، صفحة 261، 262)، وبصورة عامة فالنسق الانسجامي مفهوم مركزي في تحليل الخطاب، وهو الخاصية المحدَّدة للخطابات، ويُحَدَّد بأنَّه احترام مجموعة من القواعد التي تتحكَّم في التنظيم الخطابي لوحدات الخطاب في نص ما، ويرتبط انسجام الخطاب بوجود واسمات لغوية مخصوصة في ذلك الخطاب، وأنَّ تأويل الخطاب يتحكَّم فيه توقُّع الانسجام، وبعبارة أخرى، أنَّ المخاطب حين يتلقَّى خطابًا ما يتحرَّى حمله على أكثر التأويلات انسجامًا (روبلار وآخرون، 1441هـ = 2020م، صفحة 82، 86، 87، 90، 34).

ولا يُستطاع الحكم على النسق الانسجامي للنص، إلَّا إذا كان قابلًا للفهم، والتأويل من لدن المتلقي، فهو الفيصل الوحيد للقول بانسجام النص، إذ يبقى النص رهين الأطر المعرفية المستعملة؛ لأنه قد يبدو منسجمًا لفئة، ولا يبدو منسجمًا لفئة أخرى، بحسب المعارف الحاصلة في ذهن كلٍّ من المتكلِّم والمتلقي (هبيّل، 2017م، صفحة 133)، (الصبيحي، 1429هـ = 2008م، صفحة 86)، فالنص الذي يأتي مفكَّك الأوصال يصحبه تفكُّك دلالي، ويعتذر فهمه؛ لأنَّ فهم جملة ما في النص مرهون بمعرفة علاقتها بالجمل الأخرى، فإذا غمضت هذه العلاقة بسبب غياب مكوِّنات الربط، أو بسبب سوء استعمالها، تعذر معرفة إن كانت جملة ما نتيجة لسابقتها أو سببًا لها، تؤكِّدها أم تنقضها (الصبيحي، 1429هـ = 2008م، صفحة 88).

والنسق النصي المنسجم هو ما كان مفهومًا واضحًا بوجه يكون فيه جميع ما فيه من المضامين مترابطًا منتميًا إلى مجال واحد، فلا نشاز بين مكوّناته، ولا نقص مع بعضها، فقوام النسق الانسجامي هو الترابط بين العناصر من أفكار وما سايرها (الزناد، 2011م، صفحة 48)، ولعلَّ ارتباط الرؤية الشعرية في النص الشعري يقتضي من الدارس جهدًا متواصلًا في تفحُّص مكوّنات التجربة الشعرية فيه وتفكيكها، متمثِّلة هذه المكوّنات في التراكيب اللغوية ودالَّاتها ضمن إطار الأشكال والفنون البلاغية المنجزة كالتشبيهات، والمجازات، والاستعارات، والكنايات... وغيرها (القرعان، 1431هـ = 2010م، صفحة 12).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ عناصر النسق الانسجامي مترابطة بعضها ببعض، و"هناك إجراءات الموضعة أو الموضعات التي تمثِّل شكلًا من أشكال الاستمرارية الدلالية كذلك، وهي قائمة أساسًا على مفهومي الموضوع (Theme) والمحمول (Rheme)، المستلهمين من تحليل مدرسة براغ – فيلام فيزيوس – للجملة فيما يعرف عندهم بمنظور الجملة الوظيفي (Functional Sentence Perspective)، أي: تحليل الجمل حسب مضمونها الإخباري" (عزوز، 1431هـ = 2016م، صفحة 90)، (فرج، 2007م، صفحة 127). وبعد إمعان النظر في القصيدة تراءى لنا أنَّ الأبيات كلَّها مترابطة متناسقة من حيث نسج الأنساق النصية والموضوع، فعلى سبيل المثال قول الإمام:

واشتدَّ نزعي وَصَارَ الموْتُ يَجْذِبُها مِنْ كُلِّ عِرقٍ بِلا رِفْقٍ ولا هَوَنِ

فقوله: (واشتدَّ نزعي) موضوع، (وصار الموت يجذبها) محمول، فالبيت كلّ عنصره مترابط بالعنصر التالي له، كما في (من كُلِّ عِرقٍ بِلا رِفْقٍ ولا هَوَنِ)، بُني على نسق لغوي وموضوعاتي سليم.

ويتحقَّق النسق الانسجامي بوساطة مجموعة من الأنساق يمكن إيجازها على النحو الآتي:

1- نسق وحدة الموضوع: لهذا النسق أثر فعَّال في انسجام النص، إذ يعدُّ تحديد موضوع النص من أهم الأمور المحقِّقة للانسجام، لأنَّ الفكرة الأساسية للنص هي التي ستولِّد العلاقات القضوية كلّها، فالموضوع (Theme) هو المحدَّد للجمل التي ستكون حاضرة فيه، وللأساليب التي ستعمل لخدمة الفكرة الرئيسة التي يبسطها منشئ النص، ويتلقَّاها القارئ، فيبني على أساسها استدلالاته؛ لبلوغ الإحالة النصية، فقد يسبق القارئ الأحداث عند معرفته للفكرة الرئيسة التي قصدها المتكلم، والقارئ سيبحث داخل النص عن النسق الانسجامي بين الفكرة العامَّة والمعلومات الجزئية المتوفِّرة لخدمتها؛ لأنَّ إيجاد ذلك الانسجام بين المحدّث عنه (موضوع النص)، والمحدّث به (جمل النص) هو يحقِّق فهم النص وتأويله (هبيّل، 2017م، صفحة 261، 262).

فوحدة الموضوع في قصيدة (ليس الغريب) هي الموت والصراع مع النفس، فأجزاء القصيدة كلّها تتمحور حول ما يحدث قبل رحيل الإنسان ومفارقة أهله فراقًا أبديًا، والموضوع الرئيس هو الموت، وجاءت الأحداث منسجمة مع الموضوع والإطار العام للقصيدة، ونتلَّمس بأنّ مستلزمات الموت، كالكفن، والمغسّل، والألواح، والماء، والمِحراب، والقبر، والترب... كلّها وردت متناسقة منسجمة؛ لخدمة وحدة الموضوع الرئيس، كما نتلمَّس الترتيب

التصاعدي للأحداث، نحو: الانطراح على الفراش، وجمع الأهل، وإتيان الطبيب، واستخراج الروح، وعملية الغسل، ولبس الكفن، والتقديم إلى المحراب، وأداء صلاة الجنازة، والنزول في القبر، وحثُّ التراب... كلُّ هذه الأحداث فيها الترتيب التصاعدي للأحداث، بصورة مرتَّبة منطقيًا، تخدم وحدة الموضوع الرئيس في القصيدة.

2- نسق التغريض (العنوان): لهذا النسق قيمة إشارية تفيد في وصف النص نفسه (الفقي،، 1431هـ = 2000م، صفحة 2/ 106)، (أبو زنيد، 1431هـ = 2010م، صفحة 172)؛ لأن طبيعة العلاقات بين الأنساق النصية والعنوان في القصيدة تحتِّم الانسجام وعدم التفكُّك بين أجزاء القصيدة، والذي يجدر ذكره أنَّ الإمام موفَّق في عنونة قصيدته بـ (ليس الغريب)، وهو عنوان برَّاق يجذب المتلقِّي؛ ليكشف ماهية العنوان، وكأَنَّ البيت المفتتح هو إجابة للعنوان الرئيس والذي يسمَّى بالبيت القصيد، ولعلَّ لأهميَّة العنوان افتتح الإمام مطلع قصيدته بنسق العنوان نفسه، وكأنَّ البيت الأوَّل إجابة دقيقة لعنوان القصيدة، وهو قوله:

لَيْسَ الغَرِيبُ غريبَ الشَّام وَاليَمَنِ إنَّ الغَرِيبَ غَرِيبُ اللَّحدِ وَالكَفَنِ

ورد العنوان متناسقًا منسجمًا مع الأحداث المتنامية في القصيدة، واستطاع الإمام ترسيم معالم النسق النصي في قصيدته بوساطة العنوان الذي حصر الدلالات المتعدِّدة وربطها بمعاني الموت والعظة منها، وتؤكِّد هذه الحقيقة أنَّ العنوان يبقى "راسخًا للمخطط الأساسي الناتج عن المعالجات المختلفة" (لافون وآخرون، 2014م، صفحة 176).

3- نسق الزمن: يسعى هذا النسق إلى انسجام الوحدات النصية، والزمن عامل مهم في تكوين البنية المنطقية للنصوص، ويرى مستعملو النص الحوادث والمواقف في عالم النص عبر العلاقات القائمة بينها، ولا ينظرون إليها كل على حدة، ويتدخَّل الزمن بشكل جوهري في إيجاد مثل هذه العلاقات بين الحوادث، وأنَّ نسق الزمن في النص له أثر كبير لا يمكن إغفاله في عملية القراءة والتحليل (الزناد ا.، 1993م، صفحة 74)، (البطاشي، 1430هـ = 2009م، صفحة 77)، (العبد، 1426هـ = 2005م، صفحة 185)، وكلّ حادث له نسق زمني خاص، والزمن الذي ثبت في القصيدة يوحي بمرحلة قبل موت الإنسان ومفارقته للدنيا، إلَّا أنَّه ليس شرطًا أنَّ الإمام نسج قصيدته قبل وفاته. ويرى المتأمِّل أنَّ النسق الزمني حقَّق انسجامًا محكمًا في القصيدة، وزاد من جماليتها.

وقد تنوَّعت أزمنة الأفعال في انسجام أجزاء القصيدة بين المضي، والحال، والاستقبال، وتبيَّن بعد الاستقصاء الدقيق أنَّ الأنساق الفعلية المستعملة تبلغ مائة وثلاثة عشر نسقًا، حصَّة المضي هي واحد وستون فعلًا، والمضارع سبعة وثلاثون، والأمر يبلغ خمسة عشر فعلًا، وكثرة استعمال المضي تتلاءم وموضوع القصيدة الدالَّة على الرحيل ومفارقة الأهل؛ لأنَّ المضي يؤكِّد الثبوت والاستمرار، فالموت حقيقة ثابتة مع الاستمرار، والمضارع دالٌّ على الاستقبال؛ لاقترانه بمورفيم (لنْ) في قوله:

سَفَري بَعيدٌ وزادي لَنْ يُبَلِّغَني وَقوَّتي ضَعُفَتْ وَالمَوْتُ يطْلُبُني

أمَّا أفعال الأمر ولا سيَّما الأنساق المكرَّرة (دع) ثلاث مرَّات، فخلقت توتُّرا داخليًا في ترسيم صورة الندم، والنوح على النفس، والحالات النفسية والشعورية المتأزِّمة قبل موت الإنسان، كما وردت الأفعال الأخر للأمر في سياق تحذير النفس وعدم اغترارها بحياة فانية زائلة، وعليه فالتتابع الرصفي (Sequencing) يُبنى على النسق؛ لأنَّ "كل نشاط وكل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام، أو الكتابة، أو السماع، أو القراءة أنْ تتمَّ في توالٍ زمني" (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 136).

4- نسق العلاقات النصية: قوام هذا النسق الترابط الدلالي (المعنوي) بين مختلف المضامين الواردة في مختلف المقاطع من الخطاب، من قبيل الجمل أو الأقسام سواء تقاربت أو تباعدت. يكون ذلك بأنساق منطقية دلالية متعدِّدة منها: نسق ترابط السبب بالنتيجة، أو نسق ترابط المجمل بالمفصَّل، أو نسق ترابط العموم بالخصوص... فالأساس في الانسجام العلائقي الترابط ما بين العناصر، أو المكوِّنات في التمثيل الذهني الذي يكون للنص عند المتلقي، والرابط كلمة مفردة أو مركَّب من الوحدات المبنية تجري؛ للتعبير عن العلاقات ما بين الجمل، أو الأقسام، والمقاطع في النص الواحد، أو ما بين النصوص المختلفة المتباعدة، ولعلَّ أبرز وظيفة للرابط تتمثَّل في بيان ما به تكون الجملة التي تتضمَّنه مفيدة في بناء التمثيل الكلي للخطاب (الزناد، 2011م، صفحة 53)، (الفقي،، 1431هـ = 2000م، صفحة 1/ 49)، وبصورة عامَّة أنَّ النص نسق علائقي، "فالوحدات المكوِّنة له ليست مستقلة عن بعضها (جمل، مقاطع...) بل تربطها علاقات ذات طبيعة دلالية تعتبر عاملًا مهمًّا في انسجامه" (عزوز، 1431هـ = 2016م، صفحة 114)، ولا يقوم نسق العلاقات المتَّسقة بين الجمل على روابط أو أنساق مرتَّبة بين القضايا المعبِّرة عنها أو المعرفة فحسب، بل تتناسق أيضًا على موضوع القصيدة من مقطع خاص (دايك، 2013م، صفحة 178،177)، فمن أبرز العلاقات النسقية المتجلّية في قصيدة (ليس الغريب) ما يأتي:

أ- نسق علاقة الإجمال والتفصيل: تتكوَّن هذه العلاقة من نسقين اثنين، أحدهما إجمال، وثانيهما تفصيل لذلك الإجمال، بإيراد أنساق مختلفة مفصَّلة تعزِّز من دلالة النسق الأوَّل (الداودي، 1431هـ = 2010م، صفحة 180)، ونسق الإجمال عند السيوطي (ت911هـ) هو ما لم تتَّضح دلالته إلَّا بتفصيله عبر أنساق نصية أخرى تقوِّي من مرتكزاتها (السيوطي،، 1421هـ = 2001م، صفحة 1/ 141)، وتأتي هذه العلاقة في القصيدة عبر نسقين اثنين، وهما:

الأول: نسق الإجمال بعد التفصيل: يأتي هذا النسق مفصَّلًا ثم يجمله الإمام، من أمثلة هذا النسق قوله:

تَقَاسَمَ الأَهْلُ مالي بَعْدَ ما انْصرَفُوا وَصَارَ وِزري عَلَى ظَهْرِي فَأَثْقَلَني
وَاسْتَبْدَلَتْ زَوجَتي بَعْلًا لَهَا غَيْرِي وَحَكَّمَتْهُ في الأمـــوالِ وَالسَّكَنِ
وَصَيَّرَتْ وَلَـــدي عَبْدًا لِخِدْمَتِهِ وَصَارَ مالي لَهُمْ حِـــلًّا بِلَا ثَمَنِ

ورد مفصَّلًا، أي: بعدما ذكر الإمام تقاسم الأهل أمواله، واستبدلته زوجته برجل آخر، وصار ولده عبدًا لخدمته، كما أنَّ ماله أصبح حلًّا لهم، فكل هذه الدلالات المفصَّلة أجملها الإمام بقوله:

فَلا تَغُرَّنَّكَ الدُّنْيا وَزِينَتَها وانْظُرْ إِلَى فِعْلِها في الأَهْلِ وَالوَطَنِ

فهذا البيت المجمل يمثِّل الأنساق النصية السابقة أجمل تمثيل، ولو لم يكن المتلقي عالمًا بأمور الرحيل والموت لما يمكنه إيجاد الترابط بين النسقين، وقد نجح الإمام في ربط النسق الإجمالي بالنسق التفصيلي؛ لتحقيق النسق الانسجامي بين الوحدات النصية، ولا يكون هذا إلَّا بعد ما "تشتدُّ العلاقة وتتآزر الروابط بين طرفي الخطاب" (البطاشي، 1430هـ = 2009م، صفحة 79).

أمَّا الثاني فهو نسق التفصيل بعد الإجمال: من أمثلته قول الإمام ورد في البيت المفتتح إجمالًا في:

لَيْسَ الغَرِيبُ غَرِيبَ الشَّام وَاليَمَنِ إِنَّ الغَرِيبَ غَرِيبُ اللَّحدِ وَالكَفَنِ

لا يتَّضح مغزى الشاعر إلَّا بعد تفصيله بستة أبيات بعده، إذ بيَّن الإمام أنَّ ساعات أيَّامه مرَّت وسفره بعيد، وزاده قليل، وقوَّته ضفعت، وله ذنوب كثيرة، الله عالم بها، قال الإمام تفصيلًا للبيت المفتتح:

تَمُرُّ ساعاتُ أيَّامي بِـــلَا نَدَمٍ وَلَا بُكاءٍ وَلَا خَوْفٍ وَلَا حَـــزَنِ
سَفَري بَعيدٌ وزادي لَـنْ يُبَلِّغَني وَقوَّتي ضَعُفَتْ وَالمَـوْتُ يطْلُبُني
وَلَـــيَ بقايا ذُنوبٍ لَسْتُ أَعْلَمُها اللهُ يَعْلَمُهَا فـــي السِّرِّ وَالعَلَنِ
مَا أَحْلَمَ اللهُ عَنِّي حيثُ أَمْهَلَني! وَقَدْ تَمادَيتُ فـي ذنبي وَيَسْتُرُني
أَنَا الَّذي أُغْلِقُ الأَبْوابَ مُجْتَهِدًا عَلَى المَعاصي وَعَيْنُ اللهِ تَنْظُرُني
يا زَلَّةً كُتبَتْ فـــي غَفْلَةٍ ذَهَبَتْ يَا حَسْرَةً بَقيَتْ في القَلْبِ تُحْرِقُني

ويمكن القول: إنَّ القصيدة تفصيل "لعنوان النص من ناحية، ولجملة النواة، والتي يمثِّل العنوان الجزء الأهم منها، من ناحية أخرى، فالنص كأنَّه حوار بين منتجه والمتلقي، فالمتلقي يستنبط جملة النواة من خلال مكوِّنات النص كلِّها" (الفقي، 1441هـ = 2020م، صفحة 209).

ب- نسق علاقة العموم والخصوص: لهذا النسق حضور قوي في القصيدة، وتتجَسَّد علاقة العموم عبر هذه الألفاظ (غريب، ندم، بكاء، خوف، حزن، بعيد، ذنوب، مجتهدًا، زلَّة، غفلةٍ، حَسْرَةً، دُموعًا، عِبْرَةٌ، منطرحًا، طبيبٍ، عِرْق، رِفقٍ، هَوَنٍ، مُرًّا، عَجلٍ، غاسلًا، حذقًا، حُرًّا، أديبًا، أريبًا، رَجُلٌ، منفردًا، غسلًا، ثيابًا، حَنوطًا، رحيلٍ، زادٍ، صلاة، مهلٍ، واحدًا، مُحْتزمًا، مشتملًا، أمٌّ، أبٌ، شفيق، أخٌ، صورة، مطلعٍ، منكرٍ، نكير، بِعفوٍ، موثَّقٌ، بذنبٍ، بعلًا، عَبْدًا، حِلًّا، فِعلًا، جميلًا، شامٍ، يمن) فهذه الوحدات النسقية تدلُّ على العمومية، لأنَّها لا تخصيص فيها، إذ تمكَّن الإمام أنْ يبيِّن عمَّا يدور في داخله من أسَى، وندم، وتأسُّف.

أمَّا الوحدات النسقية الدالَّة على الخصوص فهي لا تقلُّ شأوًا عن الألفاظ الدَّالة على العمومية التي ذكرناها آنفًا، فالألفاظ الآتية في القصيدة (الغريب، الشام، اليمن، اللَّحد، الكفن، الموت، الله، السر، العلن، الله، الأبواب، المعاصي، الله، الدهر، التذكير، الحزن، الأهل، الفراش، الطبيب، الموت، الروح، الحلق، الكلُّ، الإياس، الناس، المغسِّل، الثياب، الألواح، الماء، الماء، القوم، الكفن، الدنيا، المحراب، الإمام، الله، الثوب، الدمع، العزم، اللبن،

الترب، الثواب، الرحمن، المنن، القبر، العين، الأهل، الأموال، السكن، الدنيا، الأهل، الوطن، القناعة، العصيان، الله، الموت، الصلاة، المختار، البرق، الحمد، الخير، العفو، الإحسان، المنن) فيها تخصيص وتحديد يؤول إلى ربط الأنساق النصية بعضها ببعض. وإلى جانب هذا الحشد من الأنساق النصية في القصيدة يمكن أنْ نعدَّ العنوان من العموم، وبقية الأنساق النصية "تخصيص له" (خطابي، صفحة 272)، أي: أن (ليس الغريب) عام، والأبيات كلُّها تخصيص له، لأنَّ العنوان فارس للكلمات الغريبة.

ج- نسق علاقة السبب والنتيجة: يسعى هذا النسق إلى تحقيق النسق الانسجامي بين أجزاء القصيدة، ومن نماذج هذا النسق قول الإمام: (وقد أتوا بطبيب كي يعالِجَني)، فـ (كي) سببية، أتوا بطبيب لمعالجته، أمَّا النتيجة فهي عدم منفعة الطبيب، ويستشف هذا من قوله: (فلم أرَ الطبيبَ الآن يَنْفَعُني)، ثم عقب هذا البيت، بيت تفصيلي يعزِّز النتيجة أكثر وهو قوله:

وَاشتدَّ نَزْعي وَصَارَ الموْتُ يَجْذِبُها مِنْ كُلِّ عِرقٍ بِلا رِفْقٍ وَلا هَوَنِ

يتجلَّى ممَّا سبق: أنَّ القصيدة تتكِّئ على علاقات نسقية كثيرة، ولَّدت تلاحمًا بين مقاطع القصيدة عبر أنساق شكلية متعدِّدة، وهذا ما حقَّق الانسجام الذي "يتطلَّب من الإجراءات ما تتنشَّط به عناصر المعرفة؛ لإيجاد الترابط المفهومي (Conceptual Connectivity) واسترجاعه؛ ...، ولتقديم ... معلومات عن تنظيم الأحداث، والأعمال، والموضوعات، والمواقف" (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 103، 115).

الأنساق التفاعلية بين المتكلِّم والمتلقي في قصيدة (ليس الغريب)

يندرج ضمنها نسقا المقصدية والمقبولية:

أولًا: النسق المقصدي (The Pattern of Intentionality):

يتضمَّن هذا النسق "موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أنْ تكون نصًا يتمتَّع بالسبك والالتحام؛ .... للوصول إلى غاية بعينها" (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 103)، (فرج، 2007م، صفحة 48)، ويعدُّ هذا النسق أحد المقوِّمات الأساسية للنص، باعتبار أنَّ لكلِّ منتج غاية يسعى إلى بلوغها، أو نية يريد تجسيدها، ويستمد النسق المقصدي شرعية وجوده في الدراسات اللسانية النصية قديمًا وحديثًا، من أنَّ كلَّ فعل كلامي يفترض فيه وجود نية؛ للتواصل والإبلاغ (الصبيحي، 1429هـ = 2008م، صفحة 96)، (عبدالراضي،، 1429هـ = 2008م، صفحة 89)، ويشمل هذا النسق صنفين من المقاصد: الأول هو القصد الإخباري بمعنى أنَّ للمتكلِّم قصدًا جعل مجموعة من الافتراضات الظاهرة للمتلقي، والثاني هو القصد التواصلي، أي: لصاحب الملفوظ نيَّة إظهار هذا القصد الإخباري للمتلقِّي، بيد أنَّ الصنف الأوَّل هو الذي يحدِّد نجاح التواصل أو فشله (روبلار وآخرون، 1441هـ = 2020م، صفحة 254)، والملاحظ أنَّ النسق النصي يستمدُّ دلالته من قصديته؛ لأنَّ "وظيفته تكمن في قصديته" (الزناد ا.، 1993م، صفحة 44)، (عزوز، 1431هـ = 2016م، صفحة 120).

وخلاصة القول: كلُّ نسق نصي لها مقصد معيَّن، سواء أكانت بعبارات صريحة مباشرة أم بعبارات متضمِّنة غير مباشرة، وقد وصلتنا قصيدة (ليس الغريب) بأنساق نصية صريحة سلسة، من مطلعها إلى نهايتها، لعلَّ الإمام آثر في ذلك إيصال ما في كنهه إلى المتلقي بأوضح الملفوظات وأبينها؛ لتحقيق نجاح التواصل، والاستجابة في الفهم، فعلى سبيل المثال لو وقفنا على هذا البيت:

خُذِ القَناعَةَ مِنْ دُنْياكَ وارْضَ بِها لَوْ لَمْ يَكنْ لَكَ مِنْها إلَّا راحَة البَدَنِ

لنلحظ أنَّ مكوِّناته تتَّسم بالوضوح والسلاسة، بحيث يفهمها المتلقي المتعلِّم وغيره.

ويجتمع في هذا النسق، الذي تحتوي عليه القصيدة، ثلاثة مقاصد رئيسة: الأول يكمن في أنَّ الإمام أراد في قصيدته تقديم العظة، والإرشاد، والنصيحة لبني جنسه؛ كي لا يغترَّ بالدنيا، ومعظم أبيات القصيدة تعزِّز ما ذكرناه، والثاني يتجسَّد في أنَّ الإمام ذكر الموت وتحضير الجنازة، وما يحدث بعد الدفن بصورة تفصيلية؛ ليتيقَّظ النفوس من غفلتها، وذلك للكفِّ عن العصيان وتقديم مزيد من المعروف قبل انتقالها إلى المثوى الأخير، أمَّا الثالث فهو عدم اليأس والقنوط من رحمة الله، فبعد ما ذكر صورة الموت ذكرًا مفصَّلًا آثر أنْ يهدأ النفوس، بطلب الرحمة، والعفو، والمغفرة من الله عزَّ وجل، قال في ذلك:

فامْنُنْ عَلَيَّ بِعَفْوٍ مِنْكَ يا أَمَلي فَإنَّني مُوَثِّقٌ بِذَنْبٍ مُرْتَهَنِ

وعليه، فإنَّ نسق المقصدية في القصيدة "أداة وظيفية موجَّهة نحو إفهام المخاطب، واعتماد المتلقي أساسًا في تحقيق الإفهامية، واستنتاجها من خلال ما يحمله النص من رموز، وإيحاءات، ودلالات؛ لتحقيق الاستجابة في الفهم" (إسماعيل،، 2012م، صفحة 171)، (حايلا،، 2012م، صفحة 68).

ثانيًا: النسق المقبولي (The Pattern of Acceptability):

يتضمَّن هذا النسق موقف مستقبل النص، إزاء كون صورة ما من صور اللغة، ينبغي لها، أنْ تكون مقبولة من حيث هي نص ذو ترابط والتحام، ولهذا النسق أيضًا مدًى من التغاضي (Tolerance) في حالات تؤدّي فيها الموقف إلى ارتباك (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 104)، وبعبارة أخرى: أنَّ هذا النسق هو اتِّجاه مستقبل النص إلى أنْ تؤلّف مجموعة الوقائع اللغوية نصًا متضامًّا متناسقًا ذا نفع للمستقبل، باكتساب المتلقِّي معرفة جديدة، ويستجيب هذا النسق لعوامل مثل نوع النص، والمقام الثقافي، والاجتماعي، ومرغوبية الأهداف (أبو غزالة،، 1999م، صفحة 31)، والدين، والمذهب.

والملاحظ أنَّ سلطة النص الإيجابية تبقى قوية في الحكم على قبول النص ورفضه، من لدن المتلقِّي، فالكلام العلمي، مثلًا، الذي لا يسنده قول يعتدُّ به، ولا يدعمه استشهاد بنص قوي لا يلقى قبولًا حسنًا، وأنَّ وضوح المضمون العام للنص (البنية الكبرى) أو إبهامه مؤثر حقيقي في تقبُّل القارئ للنص، ويعوِّل الأمر على القارئ وعلى شخصيته، إذ إنَّ هناك من القرّاء من يكون استيعابه للنصوص ذات الطبيعة المبهمة أقوى من استيعابه

للنصوص المباشرة، أو على العكس هناك من يفضِّل النصوص المباشرة (الصبيحي، 1429هـ = 2008م، صفحة 15)، (فرج، 2007م، صفحة 55).

والقصيدة مبنية على أنساق لغوية واضحة، وسلسة مفهومة، من حيث المباني والمعاني، ولعلَّ هذا الوضوح (عدم الإبهام) جعلها أنْ تكون مقبولة في الوسط العام، ونالت محلَّ إعجاب الناس إلى يومنا هذا، وخير دليل على درجة قبولها العالي أصبحت نشيدًا دينيًا أنشدها كبار القرّاء، وذلك للتأثير في المتلقِّي وحثِّه على التوبة وفعل الخيرات، وتجنُّب المعاصي، والتيقُّظ من عتمة الغفلة. ولو تأمَّلنا في نسق هذا البيت من قول الإمام:

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ توبي وَاعْمَلي حَسَنًا عَسَى تُجازينَ بَعْدَ المَوْتِ بالحَسَنِ

لنتلمَّس أنَّه يسجِّل أعلى درجات القبول عند المسلمين، بيد أنَّه لا يلقي قبولًا أي: يكون مرفوضًا عند الكافرين؛ فإنَّهم لا يؤمنون بالتوبة ومُجازاة الإحسان بعد الموت، وتأسيسًا على ذلك فالقصيدة لا تسجِّل درجة قبولٍ عالٍ عند الجميع، رغم إحكام أنساقها، وانسجام تراكيبها، لأنَّ لعوامل الثقافة، والبيئة، والمذهب، والدين،... أثرًا كبيرًا في قبول القصيدة ورفضها من لدن المتلقِّي، وخلاصة القول: إنَّ النسق المقبولي لا يأتي بدرجة واحدة عند الجميع، بل يختلف باختلاف المجتمعات، والأماكن، والعادات، والأعراف، والتقاليد.

الأنساق السياقية التخاطبية للنص في قصيدة (ليس الغريب)

تتعلَّق هذه الأنساق بالسياق وظروف إنتاج القصيدة، تشمل ثلاثة أنساق وهي:

أولًا: النسق الإعلامي (The Pattern of Informativity): من الأنساق السياقية التخاطبية للنص، يقف على مدى معرفة المتلقي وفهمه للنصوص، وقد أطلق عليه القرطاجني (ت 684هـ) في سياق حديثه عن المحاكاة وتقسيماتها مصطلحات المألوف، والمعتاد والمستغرب، إذ قال: "وللمحاكاة انقسام وفق تنوّعها إلى المألوف والمستغرب، ومقابلة بعضها ببعض، فيحصل ذلك على ستة أقسام: 1- محاكاة حالة معتادة، 2- محاكاة حالة مستغربة، 3- محاكاة معتاد بمعتاد، 4- ومستغرب بمستغرب، 5- ومعتاد بمستغرب، 6- ومستغرب بمعتاد" (القرطاجنّي، 1964م، صفحة 95)، وبوساطة هذا النسق يحكم على الوقائع النصية، وموضوعه هو مدى التوقُّع الذي تحظى به وقائع النص المعروض في مقابل عدم التوقع والاحتمال، أو المعلوم في مقابل المجهول، وهذا يدلُّ على أنَّ النسق الإعلامي يستعمل؛ للحكم على ما يجده مستقبلو النص في عرضه من جدة وعدم توقُّع، وفي العادة تطبَّق هذه الفكرة على المحتوى، وإنْ يكن من الممكن توافره، في وقائع أي نسق من أنساق اللغة (أبو غزالة،، 1999م، صفحة 32، 33، 184).

وللنسق الإعلامي، عند دي بوجراند (De Beograند) ثلاث درجات:

1- كفاءة إعلامية منخفضة الدرجة: يأتي النص سهل الصياغة، ويكون المحتوى المحتمل في هيئة صياغة محتملة (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 251)، (عزوز، 1431هـ = 2016م، صفحة 122)، أي:

كلَّما زاد توقُّع المتلقي تكون درجة الإعلامية منخفضة، وتنماز قصيدة (ليس الغريب) بسهولة الصياغة، والتراكيب في معظم أبياتها، لذا فيمكن وصفها بقصيدة ذات درجة إعلامية منخفضة، ومن شواهد ذلك قول الإمام:

وَغَمَّضوني وَراحَ الكُلُّ وانْصَرَفوا بَعْدَ الإياسِ وَجَدُّوا في شِرا كَفَني

فالبيت منسوج على ملفوظات واضحة سهلة، والهيئة محتملة متوقِّعة عند الجميع، فالكل يعرف ويتوقَّع بأنَّه بعد موته ينصرف أعز الناس؛ لشراء الكفن.

2- كفاءة إعلامية متوسطة الدرجة: يأتي المحتوى غير محتمل في هيئة محتملة، أو المحتوى المحتمل في هيئة غير محتملة، ومثل هذه النصوص يتَّسم بالتحدِّي، ولكنَّه غير مثير للجدل، وهي غالبًا النصوص الأدبية (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 251)، (فرج، 2007م، صفحة 67)، وتظهر درجة الإعلامية متوسطة في قول الإمام:

وَهالَني صُورَةٌ في العَيْن إذْ نَظَرَتْ مِنْ هَوْلِ مَطْلَعٍ مَا قَدْ كانَ أَدْهَشَني

تجتمع صورة المتوسطة في هذا البيت، فيمثِّل قوله (مِنْ هَوْلِ مَطْلَعٍ) المحتوى غير محتمل في هيئة محتملة، أي: شدَّة الهول غير متوقعة لدى المتلقي، وقوله: (مَا كانَ قَدْ أَدْهَشَني) يعزِّز الهيئة المحتملة.

3- كفاءة إعلامية عالية الدرجة: تتحقَّق هذه الكفاءة حينما تكون الإعلامية عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ويأتي المحتوى غير المحتمل، في الهيئة غير المحتملة، وهي النصوص صعبة الصياغة، والمثيرة للجدل الحاد، وأنَّ معالجة الوقائع ذات الإعلامية المرتفعة تقتضي بذل جهد أكثر (دي بوجراند، 1428هـ = 2007م، صفحة 251)، (أبو غزالة،، 1999م، صفحة 33)، من النوعين اللذين سبق ذكرهما آنفًا، وأنَّ مطلع القصيدة:

لَيْسَ الغَريبُ غَريبَ الشَّام وَاليَمَنِ إنَّ الغَريبَ غَريبُ اللَّحدِ وَالكَفَنِ

يظهر فيه أعلى درجات الإعلامية، وتصل الدرجة إلى ذروتها في استعمال (الشام واليمن) مقابل (اللحد والكفن)، وقد لعب في صياغة الألفاظ على قدر بالغ من الجد، وحظ وافر من الإحكام، في توزيع الملفوظات على نهاية شطري البيت، بما يملأ الإيقاع تناسقًا عاليًا في الصوت، وتواترًا مثيرًا في الدلالة الكامنة في كون الإنسان غريبًا بعد موته.

ثانيًا: النسق المقامي (The Pattern of Situationality): من الأنساق المرتبطة بعمليتي الإنتاج والتلقي، وهذا النسق "تسمية عامة للعوامل التي تقيم صلة بين النص وبين موقف لواقعة ما، سواء أكان موقفًا حاضرًا أم قابلًا للاسترجاع، ونادرًا ما تتحقَّق تأثيرات مقام سياقي معيَّن بدون حدوث التوسط، أي: مدى تغذية المرء بمعتقداته وأهدافه الخاصة للأنموذج الذي يقيمه للموقف الاتِّصالي الحالي، وتتمُّ تغذية الأنموذج بالقرائن الميسَّرة جنبًا إلى جنب مع توقُّعاتنا ومعرفتنا السابقة بشأن كيفية تنظيم (العالم الواقعي)" (أبو غزالة،، 1999م، صفحة 209)، (العبد، 1426هـ = 2005م، صفحة 185)، (فرج، 2007م، صفحة 24، 25).

وقد وفَّق الإمام في انتقاء الملفوظات؛ لنسج قصيدته، بشكل تمكَّن تجسيد رؤيته؛ لأنَّ الانتقاء يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالنسق المقامي الدائر حول قضية الموت وهي موقف شعوري ينبض بالأنين والآهات؛ للتعبير عن مشاعره المتأجِّجة، وتصوير حالة ذعره وضعفه بأوضح صورة وذلك لإيقاظ نفس المتلقي والتأثر فيه، والقصيدة لها أهميَّتها الخاصة بين القصائد؛ لأنَّها ترتبط بالموت الذي هو حقيقة ثابتة، ومستمرَّة، لعلَّ هذا منح القصيدة سمة الحيوية والأهمية من بين القصائد، وعليه فالقصيدة قيلت في سياق الموت ورحيل الإنسان، وهذا ما اقتضى أنْ تدور الملفوظات في فلك الموت، والكفن، والغسل، والصلاة، وهلوُّ التراب ...؛ لتخدم النسق المقامي وموضوعه الرئيس، كما أنَّ العنوان ملائم للمقام والسياق.

ثالثًا: النسق التناصي (The Pattern of Intertextuality): يعدُّ هذا النسق تكسيرًا لمفهوم النص المغلق، فهو عملية تداخل الأنساق وتفاعلها بين نصين أو أكثر، ويتمُّ التداخل انطلاقًا من قيام نص مركزي، يمكن أنْ نصطلح عليه (النص المتناص)، باستلزام نص أو (نصوص)، مرجعي سابق عليه؛ أو متزامن معه، أو ما يؤشِّر عليه، من مصادر وأنساق معرفية متعدِّدة، فيخضعه لمنظومته، وسياقه بطرق وأشكال مختلفة؛ لوظيفة يقصدها المؤلِّف، ويتوقَّف إدراك هذه العملية كلّها على الكفاءة المعرفية للمتلقِّي، وقدرته على تحديد سياق التداخل والتفاعل (وهابي، 2016م، صفحة 109، 111)، (الصبيحي، 1429هـ = 2008م، صفحة 100)، والنسق التناصي يكشف عن العلاقات بين النصوص، بعد إثبات وجودها، قد تكون الصلة توكيدية أو غيرها، ويسهم وضع الأسس التي تتَّصل النصوص من خلالها، وهذا الاتِّصال ينقل الشكل، والمعنى، والفكرة من جذور الماضي إلى واقع الحال والمستقبل ممَّا يحقِّق أهميَّة النسق التناصي في خلق ديمومة النص (الفقي، 1441هـ = 2020م، صفحة 44).

وجدير بالتنويه أنَّ أفق التوقُّع هو الذي يصنع فضاء النسق التناصي؛ بسبب تعدُّد القراءات وتواليها، فعندما يقرأ النص، الخطاب يلوِّح بوادر قديمة تجدَّدت في نص خطاب جديد، وهو الاحتمال المشار إليه سابقًا، فتغيُّر الأفق، هو الذي في لحظة من لحظات التأمُّل، يدخل خطابًا في خطاب، ولم تكن بينهما علاقة سابقة في عرف القارئين (مداس، 1430هـ – 2009م، صفحة 73)، (السالمي، 2014م، صفحة 115)، وقد حصر الدكتور محمد مفتاح النسق التناصي في ست درجات متفاوتة وهي: (التطابق، والتفاعل، والتداخل، والتحاذي، والتباعد، والتقاصي) (محمد، 2010م، صفحة 144، 145)، (وهابي، 2016م، صفحة 197، 198).

ولم تحظ القصيدة بحضور النسق التناصي إلَّا في مواضع يسيرة، فقول الإمام:

والحَمْدُ للهِ مُمْسِينا ومُصبِحُنا بالخَيْرِ والعَفْوِ والإحسانِ والمِنَنِ

يتناص مع قول الشاعر أميَّة بن أبي الصلت (الصلت، 1353هـ = 1934م، صفحة 62):

الحمدُ للهِ مَمْسَانا ومُصْبِحُنا بِالخَيْرِ صَبَّحَنا رَبِّي وَمَسَّانا

فالنسق التناصي متحقِّق في صدر البيتين، أي: هناك مرجعية سابقة واضحة بين نص الشاعر أميَّة بن أبي الصلت ونص الإمام علي بن الحسين (زين العابدين).

ويتلمَّس النسق التناصي مع قصائد لاحقة قيلت بعد قصيدة (ليس الغريب)، فهذا البيت من قول سفيان الثوري (جامع الكتب الإسلامية:، http://ketabonline.com، صفحة 2/ 95):

يا نَفْسُ تُوبي فَإنَّ الموْتَ قَدْ حَانا وَاعْصي الهَوَى فَالهَوى ما زالَ فَتَّانا

يتناص مع قول الإمام:

يَا نَفْسُ وَيْحَكِ توبي وَاعمَلي حَسَنًا عَسَى تُجازينَ بَعْدَ المَوْتِ بالحَسَنِ

تحقَّق النسق التناصي بعبارة يا نفس توبي، ويَا نَفْسُ وَيْحَكِ تـوبي، وهذا ما آل إلى خلق الترابط الفعَّال بين النصوص المكتوبة السابقة واللاحقة للقصيدة.

يتجلَّى ممَّا تقدَّم: أنَّ الأنساق النصية تعاضدت بعضها بعضًا، سواء أكانت الأنساق النصية المرتبطة بالنص نفسه نحو: نسق الترابط بأصنافه الثلاثة كالنسق الترابطي النحوي الذي يتحقَّق بأنساق الإحالة بألوانها المتغايرة كالضميرية، والإشارية والموصولية، والمقارنة، ونسق الاستبدال، والحذف، والعطف، أو بالنسق الترابطي المعجمي عن طريق نسقي التكرار والمصاحبة المعجمية، أو بالنسق الترابطي الصوتي كأنساق الوزن والقافية، والروي، والجناس، أو يتحقَّق بوساطة النسق الانسجامي، ويتحاور هذان النسقان الرئيسان؛ لتحقيق نسقين متفاعلين بين المتكلِّم والمتلقي في القصيدة وهما نسق المقصدية والمقبولية، وتعزِّز هذه الأنساق كلّها الأنساق السياقية التخاطبية للنص في القصيدة، إذ تتوزَّع على النسق الإعلامي، والمقامي والتناصي، وكلّ ذلك إسهام في تحقيق نسقية النص في القصيدة.

النتائج

بعد هذه الجولة الفكرية في رحاب الكتب النصية، لقد أسفر البحث عن مجموعة من النتائج، يمكن إيجازها فيما يأتي:

– تتَّسم قصيدة (ليس الغريب) ببناء نسقي محكم متلاحم، يخضع لأنساق نصية متعدِّدة، منها الأنساق المتَّصلة بالنص نفسه، أو الأنساق التفاعلية بين المتكلِّم والمتلقِّي، أو الأنساق المرتبطة بظروف إنتاج النص (السياق) وتلقِّيه، وهذه الأنساق كلّها أسهمت في تحقيق الترابط بين أجزاء القصيدة؛ لمنحها كفاءة عالية؛ لأنَّ الإخلال بأحد هذه الأنساق يزيل الترابط والانسجام بين مكوِّنات القصيدة ووحداتها النسقية.

– إنَّ النسق النصي هو دراسة البناء النصي السليم بصنفيه البنية الكبرى والبنية الصغرى، عبر ضوابط ومعايير نصية مقنَّنة في القصيدة، وتعاورت هذه الأنساق في توليد قصيدة خالدة في الإرث الإسلامي بحيث غدا نشيدًا

يلقى في المحافل الدينية إلى يومنا هذا، ويكمن النسق العليا في مطلع القصيدة، إذ هو بؤرة عميقة، تتدرج ضمنه المقاطع الأخر بمتواليا‌تها وأنساقها المتغايرة.

– تآزر نسق الترابطي النصي بأصنافه الأربعة كالنسق الإضافي، والزمني، والسببي، والعكسي؛ لربط الأحداث، والجمع بين متواليات الجمل؛ وهذا ما آل إلى تماسك النص وتلاحم أجزاء القصيدة، وقد زاد النسق الترابطي النحوي بأضربها الإحالية الضميرية، والمقارنية، والموصولية، والإشارية، إلى جانب الأنساق الاستبدالية، والحذفية من الترابط الحاصل بين الوحدات النصية في القصيدة من جهة، والنسق الترابطي المعجمي بنسقيه التكراري والمصاحبة المعجمية، والنسق الترابطي الصوتي الناتج عن طريق أنساق الوزن والقافية، والروي، والجناس من جهة أخرى.

– تحقَّقَ النسق الانسجامي في القصيدة عبر مجموعة أنساق نحو: نسق وحدة الموضوع، والتغريض (العنوان)، والزمن، والعلاقات النصية التي قوامها الترابط الدلالي بين مختلف المضامين الواردة في مختلف المقاطع من القصيدة، وقد اتَّكأت على علاقات نسقية كثيرة نحو: نسق علاقة الإجمال والتفصيل، والعموم والخصوص، والسبب والنتيجة، ولَّدت تلاحمًا محكمًا بين أجزاء القصيدة.

– لكلُّ نسق نصي مقصد محدَّد في القصيدة، سواء أكانت بعبارات مباشرة أم بعبارات متضمِّنة غير مباشرة، وتجتمع في النسق الذي تحتوي عليه القصيدة ثلاثة مقاصد رئيسة: الأوَّل هو تقديم العظة، والإرشاد لبني جنسه؛ لعدم الاغترار بالدنيا، والثاني يتجسَّد في ذكر الموت وتحضير الجنازة ومراسيم الدفن بصورة تفصيلية، ليتيقَّظ النفوس من عتمة الغفلة، والكفِّ عن العصيان، والثالث هو عدم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى.

– لقد سجَّلت القصيدة أعلى درجات القبول عند المسلمين، وقد أصبحت نشيدًا دينيًا يلقيها كبار القرَّاء، في حين أنَّها غير مقبولة عند الجميع، رغم إحكام أنساقها وانسجام تراكيبها؛ لأنَّ النسق المقبولي لا يأتي بدرجة واحدة عند الجميع؛ بل يختلف باختلاف الثقافات والمجتمعات، والأعراف، والتقاليد، والمذاهب.

– تتَّسم قصيدة (ليس الغريب) بتحقيق النسق الإعلامي، بدرجات متفاوتة، كالكفاءة منخفضة الدرجة، والمتوسطة، والعالية، ويتمثَّل مطلع القصيدة أعلى درجات الإعلامية، وتصل إلى ذروتها في استعمال (الشام واليمن) في مقابل (اللحد والكفن)، وقد لعب في صيانة الألفاظ على قدر بالغ من الجد، وحظ وافر من الإحكام، في توزيع الملفوظات على نهاية شطري البيت، بما يملأ الإيقاع تناسقًا عاليًا في الصوت، وتواترًا مثيرًا في الدلالة الكامنة في كون الإنسان غريبًا بعد موته.

– لقد وفَّق الإمام في انتقاء الملفوظات؛ لنسج قصيدته الخالدة، بشكل تمكَّن تجسيد رؤيته، فالانتقاء له ارتباط وثيق بالنسق المقامي الدائر حول قضية الموت، وهي موقف شعوري نابض بالأنين والآهات؛ للتعبير عن مشاعره المتأجّجة، وتصوير حالة ذعره وضعفه بأوضح صورة، والقصيدة لها أهميَّتها؛ لأنَّها قيلت في مقام الموت الذي هو حقيقة ثابتة ومستمرَّة، ولعلَّ هذا يثبت أهميَّتها ومنزلتها بين القصائد.

– النسق التناصي متحقِّق في مواضع يسيرة، سواء عن طريق المرجعيات السابقة للقصيدة أم قصائد لاحقة، وتوصَّل البحث إلى أنَّ بيتين من أبيات القصيدة يتناصان مع قصيدة الشاعر أميَّة بن أبي الصلت، وسفيان الثوري، وهذا ما أسهم في خلق الترابط المتحقِّق بوساطة الأنساق التخاطبية للنص في القصيدة.

قائمة المصادر والمراجع

- . أبو الحسن حازم (ت 684هـ) القرطاجنّي،. (1964م). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. (تحقيق: محمَّد الحبيب بن الخوجة، المحرر)
- أبو الفتح عثمان (ت392هـ) ابن جنّي،. (بلا تاريخ). الخصائص. (تحقيق: محَّمد علي النجَّار، المحرر) بيروت – لبنان: دار الكتاب العربي.
- أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن (ت471هـ) الجرجاني،. (1424هـ = 2000م). دلائل الإعجاز (الإصدار ط5). (تحقيق: محمود محمد شاكر، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.
- أبو يعقوب يوسف بن محمَّد (ت 626هـ) السَّكَّاكي،. (1420هـ = 2000م). مفتاح العلوم (الإصدار ط1). (تحقيق: عبدالحميد هنداوي، المحرر) بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
- الأزهر الزناد،. (1993م). نسيج النص – بحث في ما يكون به الملفوظ نصًا (الإصدار ط1). بيروت – لبنان: عالم الكتب.
- الأنصاري(ت761هـ) ابن هشام،. (1431هـ = 2010م). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. (تحقيق: محمَّد محيي الدين عبدالحميد، المحرر) بيروت – لبنان: الدار النموذجية، المطبعة العصرية.
- أميَّة بن أبي الصلت،. (1353هـ = 1934م). ديوان أميَّة بن أبي الصلت (ت 5هـ) (الإصدار ط1). (جمعه ووقف على طبعه: بشير بهوت، المحرر) بيروت – لبنان: المطبعة الوطنية.
- آن، وجاك موشلار روبلار وآخرون،. (1441هـ = 2020م). تداولية الخطاب من تأويل الملفوظ إلى تأويل الخطاب (الإصدار ط1). (ترجمة: لحسن بوتكلاي، المترجمون) عمَّان – الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- بدر الدين عبدالله (ت 794هـ) الزركشي،. (1427هـ = 2006م). البرهان في علوم القرآن. (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) صيدا – بيروت: المكتبة العصرية.
- بدرة فرخي،. (2010م). اللسانيات الوظيفية – الرؤية والمنهج – . المملكة الأردنية الهاشمية: مكتبة الرائد العلمية للنشر.
- جامع الكتب الإسلامية:. (http://ketabonline.com).

- جلال الدين (ت911هـ) السيوطي،. (1421هـ = 2001م). الإتقان في علوم القرآن (الإصدار ط1). (تحقيق: فوَّاز أحمد زمرلي، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.
- جوليا كرستيفا،. (1991م). علم النص (الإصدار ط1). (ترجمة: فريد الزاهي، المترجمون) الدار البيضاء – المغرب: دار توبقال للنشر.
- خليل بن ياسر البطاشي،. (1430هـ = 2009م). الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب (الإصدار ط1). عمَّان – الأردن: دار جرير للنشر والتوزيع.
- د. أحمد محمد عبدالراضي،. (1429هـ = 2008م). نحو النص بين الأصالة والحداثة (الإصدار ط1). القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- د. أحمد مداس،. (1430هـ – 2009م). لسانيات النص – نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري (الإصدار ط2). عمَّان – الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع.
- د. الأزهر الزناد. (2011م). النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية (الإصدار ط1). صفاقس – تونس: مركز النشر الجامعي.
- د. إلهام أبو غزالة،. (1999م). مدخل إلى علم لغة النص – تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند ولفانج دريسلر (الإصدار ط2). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- د. حسام أحمد فرج،. (2007م). نظرية علم النص – رؤية منهجية في بناء النص النثري (الإصدار ط1). القاهرة: مكتبة الآداب.
- د. حيدر محمود عبدالرزاق،. (2022م). إيقاع الأوزان والقوافي – دراسة ميسَّرة (الإصدار ط1). الموصل – العراق: دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع.
- د. زاهر بن مرهون الداودي،. (1431هـ = 2010م). الترابط النصي بين الشعر والنثر (الإصدار ط1). عمَّان – الأردن: دار جرير للنشر والتوزيع.
- د. صبحي إبراهيم الفقي،. (1431هـ = 2000م). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على السور المكية. القاهرة: دار قباء للنشر والتوزيع.
- د. صبحي الفقي. (1441هـ = 2020م). آفاق الدرس اللساني بين النصية والتداولية ومجالات تطبيقها (الإصدار ط1). طنطا: دار النابغة للنشر والتوزيع.
- د. صلاح فضل،. (1413هـ = 1992م). بلاغة الخطاب وعلم النص. الكويت: عالم المعرفة – مطابع السياسة.
- د. عادل نذير الحساني،. (1433هـ = 2012م). الأسلوبية الصوتية في شعر أدونيس (الإصدار ط1). عمَّان – الأردن: دار الرضوان للنشر والتوزيع.

- د. عبدالرحمن بودرع، (1440هـ = 2019م). النص الذي نحيا به – قضايا ونماذج في تماسك النص ووحدة بنائه (الإصدار ط1). عمَّان – الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- د. عبدالرحمن طعمة، (1441هـ = 2020م). اللغة والمعنى والتواصل – النموذج العرفاني وأبعاده التداولية (الإصدار ط1). عمَّان – الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- د. عثمان أبو زنيد، (1431هـ = 2010م). نحو النص – إطار نظري ودراسات تطبيقية (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- د. عثمان محمد أحمد أبو صيني، (2015م). نحو النص – دراسة تطبيقية على سورة النور (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث.
- د. عمر أبو خرمة، (1425هـ = 2004م). نحو النص – نقد النظرية وبناء أخرى (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث.
- د. فايز القرعان. (1431هـ = 2010م). سلطة النص – دالَّات الشكل البلاغي (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- د. فايز القرعان، (2004م). دراسات أسلوبية في النص القرآني (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- د. فوزية عزوز، (1431هـ = 2016م). المقاربة النصية – من تأصيل نظري إلى إجراء تطبيقي (الإصدار ط1). عمَّان – الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.
- د. محمد العبد، (1426هـ = 2005م). النص والخطاب والاتِّصال (الإصدار ط1). القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
- د. محمد القاسمي، (2019م). دراسات معاصرة في اللسانيات والتداوليات (الإصدار ط1). إربد – الأردن: دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- د. محمَّد حايلا، (2012م). نسق اللغة – فرضيات التكوين وإشكالات الصيرورة – تمهيد لنظرية لغوية في علم الأصول (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- د. محمد ديب الجاجي، (1431هـ = 2010م). النسق القرآني – دراسة أسلوبية (الإصدار ط1). جدة – المملكة العربية السعودية: دار القبلة الثقافية الإسلامية – مؤسَّسة علوم القرآن.
- د. محمد فتوح أحمد، (1995م). تحليل النص الشعري – بنية القصيدة. القاهرة: دار المعارف.
- د. محمد محمد يونس علي، (2013م). قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب (الإصدار ط1). بيروت – لبنان: دار الكتاب الجديد المتَّحدة.

- د. محمد مفتاح. (2016م). النص من القراءة إلى التنظير، (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث.
- د. محمد مفتاح،. (2010م). المفاهيم معالم – نحو تأويل واقعي (الإصدار ط2). الدار البيضاء – المغرب: المركز الثقافي العربي، مكتبة الأدب المغربي.
- د. محمد وهابي،. (2016م). من النص إلى التناص (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث.
- د. مزايط مولود هيدالله،. (2022م). قضايا في التداوليات المعرفية – التواصل – المعرفية – الاستدلال – الروابط – التهكم – الاستعارة – الترجمة (الإصدار ط1). عمَّان – الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع،.
- د. مصطفى حميدة،. (1997م). نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية (الإصدار ط1). القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.
- د. نادية رمضان النجار،. (2013م). علم لغة النص والأسلوب. الإسكندرية: مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع.
- د. نعمان بوقرة،. (2016م). الخطاب اللساني عند ابن حزم الأندلسي – الأصول المعرفية والمآل الإجرائي (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث.
- د. نعيمة سعدية،. (2017م). لسانيات النص – المرجعية الفكرية واستراتيجية التلقِّي (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- د. هادية السالمي،. (2014م). التناص في القرآن – دراسة سيميائية للنص القرآني (الإصدار ط1). إربد – الأردن: عالم الكتب الحديث.
- د. هناء محمود إسماعيل،. (2012م). النحو القرآني في ضوء لسانيات النص (الإصدار ط1). بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
- د. يسر هبيِّل،. (2017م). الإحالة بين اللغة والخطاب (الإصدار ط1). تونس: الدار التونسية للكتاب.
- روبرت دي بوجراند،. (1428هـ = 2007م). النص والخطاب والإجراء (الإصدار ط2). (ترجمة: د. تمام حسان، المترجمون) القاهرة: عالم الكتب.
- روبرت، فرانسوا لافون وآخرون،. (2014م). مدخل إلى التحليل النصي (الإصدار ط1). (ترجمة: نوال بوطيب، المترجمون) بغداد – العراق: دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع.
- فان دايك،. (2013م). النص والسياق – استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. (ترجمة: عبدالقادر قنيني، المترجمون) الدار البيضاء: دار أفريقيا الشرق.

- كرستيان ، بول بيلون وآخرون، وفاير،. (2010م). توطئة في علم اللغة (الإصدار ط1). (ترجمة: توفيق عزيز عبدالله، المترجمون) المملكة الأردنية الهاشمية: دار زهران للنشر والتوزيع.
- كلية الآداب والعلوم الإنسانية أعمال الندوة العلمية الثانية لجامعة القيروان،. (2008م). الإحالة وقضاياها في ضوء المقاربات اللسانية والتداولية – ، (). (الإصدار ط1). تونس: دار مسكيلياني للنشر والتوزيع.
- محمَّد الأخضر الصبيحي،. (1429هـ = 2008م). مدخل إلى علم لغة النص ومجالات تطبيقه (الإصدار ط1). الجزائر: الدار العربية للعلوم.
- محمد الشاوش،. (1421هـ = 2001م). أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية – تأسيس نحو النص (الإصدار ط1). تونس: المؤسَّسة العربية للتوزيع.
- محمد خطابي،. (بلا تاريخ). لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب. المركز الثقافي العربي.

Bibliography of Arabic References (Translated toEnglish)

- Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman (392 AH), Al-Khasais, edited by Muhammad Ali al-Najjar, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, Lebanon, n.d.
- Ibn Hisham, al-Ansari (761 AH) (2010 CE / 1431 AH), Mughni al-Labib on the Books of Arabs, edited by Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Al-Dar al-Namudhajiyyah, Al-Matbaah al-Asriyyah, Beirut, Lebanon.
- Abu Khurma, Omar (2004 CE / 1425 AH), Toward the Text – Critique of the Theory and Building Another, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid, Jordan.
- Abu Zunaid, Othman (2010 CE / 1431 AH), Toward the Text – Theoretical Framework and Applied Studies, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith for Publishing and Distribution, Irbid, Jordan.
- Abu Sini, Othman Muhammad Ahmad (2015 CE), Toward the Text – An Applied Study on Surat Al-Nur, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid, Jordan.
- Abu Ghazala, Ilham (1999 CE), Introduction to Text Linguistics - Applications of Robert de Beaugrande and Wolfgang Dressler's Theory, 2nd edition, General Egyptian Book Organization, Cairo.
- Ahmad, Muhammad Futuh (1995 CE), Poetic Text Analysis – Poem Structure, Dar al-Maarif, Cairo.
- Ismail, Hana Mahmoud (2012 CE), Quranic Grammar in Light of Text
- Linguistics, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.

- Proceedings of the Second Scientific Symposium of the University of Kairouan (2008 CE), Faculty of Arts and Humanities, Reference and its Issues in Light of Linguistic and Pragmatic Approaches, 1st edition, Dar Miskiliani for Publishing and Distribution, Tunis.
- Budra, Abd al-Rahman (2019 CE / 1440 AH), The Text we Live by – Issues and Models in Text Cohesion and its Structural Unity, 1st edition, Dar Kunuz al-Ma'rifah for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Buqurra, Numan (2016 CE), Linguistic Discourse according to Ibn Hazm al-Andalusi – Epistemological Origins and Procedural Fate, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid, Jordan.
- Billon, Christian, and Paul Vayer (2010 CE), Introduction to Linguistics, 1st edition, translated by Tawfiq Aziz Abdullah, Dar Zahran for Publishing and Distribution, Jordan.
- Al-Jaji, Muhammad Dib (2010 CE / 1431 AH), The Quranic Pattern – A Stylistic Study, 1st edition, Dar al-Qiblah al-Thaqafiyyah al-Islamiyyah, Quranic Sciences Institution, Jeddah, Saudi Arabia.
- Jami al-Kutub al-Islamiyyah (Islamic Books Library). Available at: http://ketabonline.com
- Al-Jurjani, Abu Bakr Abd al-Qahir bin Abd al-Rahman (471 AH) (2000 CE / 1424 AH), Evidence of Inimitability, 5th edition, edited by Mahmoud Muhammad Shakir, Al-Khanji Library, Cairo.
- Hayla, Muhammad (2012 CE), The Pattern of Language – Formation Hypotheses and Evolution Issues – Introduction to a Linguistic Theory in Usul al-Fiqh, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith for Publishing and Distribution, Irbid, Jordan.
- Al-Hassani, Adil Nadhir (2012 CE / 1433 AH), Phonetic Stylistics in Adonis's Poetry, 1st edition, Dar al-Radwan for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Hamida, Mustafa (1997 CE), The System of Connection and Linking in Arabic Sentence Structure, 1st edition, Egyptian International Publishing Company, Cairo.
- Khattabi, Muhammad, Text Linguistics – An Introduction to Discourse Harmony, Arab Cultural Center, Casablanca.
- Al-Batashi, Khalil bin Yasir (2009 CE / 1430 AH), Textual Cohesion in Light of Linguistic Discourse Analysis, 1st edition, Dar Jarir for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.

- Al-Dawudi, Zahir bin Marhun (2010 CE / 1431 AH), Textual Cohesion between Poetry and Prose, 1st edition, Dar Jarir for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Dijk, Van (2013 CE), Text and Context – Explorations in Semantics and Pragmatics of Discourse, translated by Abd al-Qadir Qunini, Dar Africa al-Sharq, Casablanca.
- De Beaugrande, Robert (2007 CE / 1428 AH), Text, Discourse, and Process, 2nd edition, translated by Tammam Hassan, Alam al-Kutub, Cairo.
- Reboul, Anne, and Jacques Moeschler (2020 CE / 1441 AH), Pragmatics of Discourse from Interpreting the Utterance to Interpreting the Discourse, 1st edition, translated by Lahcen Boutkelai, Dar Kunuz al-Ma'rifah for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Al-Zarkashi, Badr al-Din Abdullah (794 AH) (2006 CE / 1427 AH), Proof in the Sciences of the Quran, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Al-Maktabah al-Asriyyah, Sidon, Beirut.
- Al-Zannad, Al-Azhar (1993 CE), Text Fabric – A Study in What Makes an
- Utterance a Text, 1st edition, Alam al-Kutub, Beirut, Lebanon.
- Al-Zannad, Al-Azhar (2011 CE), Text and Discourse: Cognitive Linguistic
- Studies, 1st edition, University Publication Center, Sfax, Tunisia.
- Al-Salimi, Hadia (2014 CE), Intertextuality in the Quran – A Semiotic Study of the Quranic Text, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid, Jordan.
- Sadiyyah, Naima (2017 CE), Text Linguistics – Intellectual Reference and
- Reception Strategy, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith for Publishing and Distribution, Irbid, Jordan.
- Al-Sakkaki, Abu Yaqub Yusuf bin Muhammad (626 AH) (2000 CE / 1420 AH), The Key to Sciences, 1st edition, edited by Abd al-Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din (911 AH) (2001 CE / 1421 AH), Precision in the Sciences of the Quran, 1st edition, edited by Fawwaz Ahmad Zumurli, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut.
- Al-Shawush, Muhammad (2001 CE / 1421 AH), Principles of Discourse Analysis in Arabic Grammatical Theory – Establishing Text Grammar, 1st edition, Arab Institution for Distribution, Tunis.
- Al-Subayhi, Muhammad al-Akhdar (2008 CE / 1429 AH), Introduction to Text Linguistics and its Applications, 1st edition, Arab Scientific Publishers, Algeria.

- Al-Salt, Umayya bin Abi al-Salt (1934 CE / 1353 AH), Diwan Umayya bin Abi al-Salt, 1st edition, collected by Bashir Bahout, National Printing Press, Beirut, Lebanon.
- Tumah, Abd al-Rahman (2020 CE / 1441 AH), Language, Meaning, and Communication – The Cognitive Model and its Pragmatic Dimensions, 1st edition, Dar Kunuz al-Ma'rifah for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Al-Abd, Muhammad (2005 CE / 1426 AH), Text, Discourse, and Communication, 1st edition, Modern Academy for University Books, Cairo.
- Abd al-Radi, Ahmad Muhammad (2008 CE / 1429 AH), Toward the Text between Authenticity and Modernity, 1st edition, Religious Culture Library, Cairo.
- Abd al-Razzaq, Haidar Mahmoud (2022 CE), Rhythm of Meters and Rhymes – A Simplified Study, 1st edition, Dar Mashki for Printing, Publishing, and Distribution, Mosul, Iraq.
- Azzuz, Fawzia (2016 CE / 1431 AH), The Textual Approach – From Theoretical Rooting to Practical Procedure, 1st edition, Dar Kunuz al-Ma'rifah for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Ali, Muhammad Muhammad Yunus (2013 CE), Issues in Language, Linguistics, and Discourse Analysis, 1st edition, Dar al-Kitab al-Jadid al-Muttahida, Beirut, Lebanon.
- Faraj, Hussam Ahmad (2007 CE), Text Science Theory – A Methodological View in Prose Text Construction, 1st edition, Maktabat al-Adab, Cairo.
- Farkhi, Badrah (2010 CE), Functional Linguistics – Vision and Method, Al-Raid Scientific Library for Publishing, Jordan.
- Fadl, Salah (1992 CE / 1413 AH), Discourse Rhetoric and Text Science, World of Knowledge, Kuwait.
- Al-Fiqi, Subhi Ibrahim (2020 CE / 1441 AH), Horizons of Linguistic Study between Textuality and Pragmatics and its Applications, 1st edition, Dar al-Nabighah for Publishing and Distribution, Tanta.
- Al-Fiqi, Subhi Ibrahim (2000 CE / 1431 AH), Textual Linguistics between Theory and Application – An Applied Study on Meccan Suras, Dar Qubaa for Publishing and Distribution, Cairo.
- Al-Qasimi, Muhammad (2019 CE), Contemporary Studies in Linguistics and Pragmatics, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith for Publishing and Distribution, Irbid, Jordan.

- Al-Qartajanni, Abu al-Hasan Hazim (684 AH) (1964 CE), The Way of the Eloquent and the Lamp of the Literati, edited by Muhammad al-Habib ibn al-Khoja.
- Al-Qur'an, Fayez (2004 CE), Stylistic Studies in the Quranic Text, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith for Publishing and Distribution, Irbid, Jordan.
- Al-Qur'an, Fayez (2010 CE / 1431 AH), Authority of the Text – Signifiers of Rhetorical Form, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith for Publishing and Distribution, Irbid, Jordan.
- Kristeva, Julia (1991 CE), Text Science, 1st edition, translated by Farid al-Zahi, Dar Toubkal for Publishing, Casablanca, Morocco.
- Lafont, Robert, Francois Gardes, and Madray (2014 CE), Introduction to Textual Analysis, 1st edition, translated by Nawal Boutayeb, Dar Nibur for Printing, Publishing, and Distribution, Baghdad, Iraq.
- Madas, Ahmad (2009 CE / 1430 AH), Text Linguistics – Toward a Method for Analyzing Poetic Discourse, 2nd edition, Alam al-Kutub al-Hadith for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Miftah, Muhammad (2010 CE), Concepts as Landmarks – Toward a Realistic Interpretation, 2nd edition, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco.
- Miftah, Muhammad (2016 CE), The Text from Reading to Theorizing, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid, Jordan.
- Al-Najjar, Nadia Ramadan (2013 CE), Text Linguistics and Style, Horus International Institution for Publishing and Distribution, Alexandria.
- Habbayyil, Yusr (2017 CE), Reference between Language and Discourse, 1st edition, Al-Dar al-Tunisiyyah lil-Kitab, Tunis.
- Haydallah, Mazait Mawloud (2022 CE), Issues in Cognitive Pragmatics, 1st edition, Dar Kunuz al-Ma'rifah for Publishing and Distribution, Amman, Jordan.
- Wahhabi, Muhammad (2016 CE), From Text to Intertextuality, 1st edition, Alam al-Kutub al-Hadith, Irbid, Jordan.